FAROUK THE LAST
منتصر أمين
فاروق الأخير
رواية
الرواق للنشر والتوزيع
فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

**قام بالتحويل لهذا الكتاب:**

# كلمه مهمة:

**هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.**
**وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.**

**مع تحيات:**

**فريق -متميزون-**

**انضم الى الجروب**

**انضم الى القناة**

# فاروق الأخير

## رواية تاريخية..

الكاتب: منتصر أمين.

# عن الرواية..

في فترة عصيبة من فترات تاريخنا المعاصر، فوجئ الفتى الصغير -في سن السابعة عشرة- بنفسه ملكًا على مصر.. في ذلك الحين انحنى له كبار رجال الدولة، تملقه الجميع.. عاش ضحية قهر الأب والخلافات الأسرية والمرض، وقع فريسة لمستشاري السوء وطالبي المناصب الرفيعة.. فقد عرشه قبل أن يعتليه حين قَبِلَ المُلك وهو في طراوة الصبا وضحالة العلم.. رواية رشيقة مثيرة، تكشف صورة واضحة عن أحوال مصر في ذلك الوقت.. توضّح الصراع العنيف بين الطبقة السياسية الحاكمة، والذي كان محوره المصالح الشخصية.. تُبرز المرض الأساسي الذي أطاح بالملكية دون رجعة؛ البعد عن الشعب والاقتتال حول المناصب والثروات حتى وإن كانت البلاد غارقة في المحن الوطنية والسياسية والاقتصادية

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«إن السُّلطات المسئولة في الجمهورية العربية المتحدة قد وافقت على طلبٍ تقدمت به أسرة فاروق ـملك مصر السابقـ لكي يُدفَن فيها. وإن هذه الموافقة قد صدرت تعبيرًا عن سماحة الشعب في الجمهورية العربية المتحدة ورحابة نظرته الإنسانية. فإن أرض مصر التي ضاقت بفاروق ورفضته ملكًا؛ تتسع له أمام خالقهم الذي يملك وحده بعد الموت حساب خطاياهم.

وقد أُخطِرت سفارة الجمهورية العربية المتحدة في روما لإصدار التصاريح اللازمة لنقل جثة فاروق.»

١٨١٩٦٥الطقس لم يكن جيدًا هذه الليلة، رغم اقتراب موسم الربيع؛ اكتمال القمر بدرًا لم يشفع للسماء التي كانت مظلمة، مثقَلة بسحبٍ كثيفة تنذر باحتمال سقوط أمطار، تيارٌ قويٌّ من الهواء تحرك من جهة مبنى الفاتيكان شرقًا، اخترق شارع أوريلا أنتيكا، مسببًا صوتًا أقرب لعاصفة خفيفة، مؤكِّدًا على تلك البرودة السارية في أوصال المدينة الإيطالية العريقة، رغم ذلك كان الزحام واضحًا أمام القطعة رقم ٢٧٠، تحديدًا أمام المطعم الشهير الذي يحمل لافتة فخمة مكتوب عليها بخط لاتيني أنيق: «إيل دي فرانس».

توقفت سيارة كاديلاك سوداء، نوافذها الخلفية مغطاة بستائر من الستان الأحمر الفاخر، قفز سائقها ـبزيِّه الأسود المميز وقبعته الأنيقةـ على الفور من مقعده الأمامي، تحرك ناحية الباب الخلفي من جهة اليمين، فتحه بهدوء ثم خفض رأسه قدر انحناءة بسيطة، وتسمَّر على هذا الوضع لفترة. في هذه الأثناء، كان الوقوف ـعلى قائمة الانتظارـ أمام سلالم مدخل المطعم الفخم يمدون أعناقهم صوب الكاديلاك السوداء. لحظات، ونزلت من السيارة شابة فائقة الجمال، إيطالية ترتدي فستان سهرة أنيق، أزرق اللون، مكشوف الصدر، تغطي كتفيها وجزء من ذراعيها بفراء أبيض تتخلله خطوط خفيفة من لونٍ رمادي فاتح، لكن ذلك لم يمنع ظهور عقد اللؤلؤ الأبيض الذي يزين عنقها الممدود. تمتم أحد الوقوف محدثًا رفيقته بعد أن التهمت عيناه جسد الشابة الممشوق: «تظنينها كلوديا كاردينالي!». رمقته صديقته بحنق؛ فابتلع لسانه ولم ينطق مرة أخرى.

توقفت الشابة لوهلة قبل أن تلتفت خلفها، كأنها تتعجل نزول رفيقها من السيارة، ثوانٍ قليلة ثم خرج من السيارة رجل في منتصف الأربعينيات، فور ظهوره ازدادت انحناءة السائق حتى صارت أقرب للركوع. بدا الرجل في غاية الوجاهة ببدلته الرمادية المقلمة من الصوف الإنجليزي الفاخر، حذائه الإيطالي اللامع، قميصه الأبيض ورابطة عنقه الحريرية الحمراء. رغم ضخامته الواضحة كان متوسط الطول، أصلع الرأس، له شارب ضخم مميز بتلك الانحناءة الظاهرة عند طرفيه المرفوعين، يضع نظارة طبية غامقة مستديرة الإطار، تضفي عليه المزيد من الهيبة والوقار. شد الرجل قامته ثم وضع سيجاره الكوبي الضخم في فمه، سحب نفسًا ثم نفثه في الهواء، ثنى ذراعه الأيسر؛ تأبطت الإيطالية الحسناء ذراعه الممتلئة على الفور. رغم بدانته الواضحة كان يسير بقامة مفرودة، خطواته هادئة رزينة، تدل على ثقة شديدة بالنفس.

اخترقا الزحام عند مدخل المطعم، تجاوزا الأعين المتطفلة التي اختلطت نظرات أصحابها بروائح العطور الباريسية الفاخرة التي نثرتها أجسادهم، لم يلتفت الرجل إلى تلك الهمسات التي حملها الهواء البارد، فقط ارتسمت على شفتيه ابتسامة جانبية خفيفة حين التقطت أذناه جيدًا صوت أحدهم يقول بانبهار: إنه الملك!.

انبرى مدير المطعم أمام المدخل مُرحِّبًا بابتسامة عريضة؛ سببها بالطبع ذلك البقشيش السخي الذي يتركه الملك كل مرة، انحنى بتأدب بينما كان يمد يديه بمطفأة قبل أن يقول باحترام شديد: «جلالة الملك..». أومأ فاروق برأسه قبل أن يبتسم، ترك سيجاره في المطفأة ثم عبر بوابة المطعم الفخمة.

الموائد كلها تقريبًا كانت مشغولة، صفوة المجتمع الإيطالي وأيضًا العديد من أصحاب الجنسيات الأخرى، عدا مائدته التي كانت جاهزة لاستقباله، مائدة واحدة لا يغيرها أبدًا، رغم كونها تطل على الشارع الرئيسي؛ إلا أن موقعها المنعزل نسبيًا كان يسمح له بقدرٍ جيدٍ من الخصوصية. المائدة كانت عامرة بصنوف متعددة من المشهيات، أسماكٍ وجمبري ولحوم، زجاجة من النبيذ الفاخر المعتق، وزجاجة من الكوكاكولا!.

اقترب مدير المطعم مجددًا من فاروق، يرافقه هذه المرة شاب له ملامح شرقية، انحنى أمامه قبل أن يقول بتأدب: معذرةً جلالتك، سيكون في خدمتكم النادل أرماندو، إذا حدث أي تقصير فأرجو أن..

صرفه فاروق بإشارة من يده ثم تناول قائمة الطعام التي قدمها له أرماندو، تشاغل بالنظر فيها، بينما كان النادل الشاب يصب له الكولا في كأس كريستالي ممتلىء بمكعبات الثلج، قبل أن ينتقل حيث تجلس الفاتنة الإيطالية ويملأ لها كأسها بعصير العنب المعتق.

- «هل لي أن أعاون جلالتكم في الاختيار؟..»

نطقها أرماندو بصوتٍ خفيض، وبلهجة إيطالية سليمة، منحه فاروق نظرة جانبية قبل أن يقول بسخرية:

- لم أعلم أن اليهود يجيدون الإيطالية؟

ابتسم أرماندو دون أن يعقِّب، في الحقيقة لم يمنحه فاروق فرصة للرد؛ أردف على الفور:

- اسباجيتي ألاجندولا.

أومأ أرماندو برأسه، وأكمل فاروق دون أن ينظر نحوه:

- لحم فوليرانتينا.

ابتسم أرماندو حين استطرد فاروق:

- وصينية بطاطس.

غادر أرماندو بعد أن حفر في ذهنه طلبات الملك، وذلك الطلب الخفيف الذي طلبته رفيقته الحسناء، والتي بدا أن شغفها بالنبيذ يفوق اهتمامها بالطعام. في المطبخ، لحقه مدير المطعم سريعًا، أوصى بزيادة كميات المحار في طلب الاسباجيتي، كما أمر أن يتأكدوا من قطعة اللحم قبل تقديمها؛ لابد أن يكون وزنها واحد كيلو جرام بالضبط. هتف كبير الطهاة متعجبًا:

- حقًا! سيأكل كل هذا وحده!.

أسكتته نظرة حادة من المدير، فشرع في إعداد الطعام، وداخله يثور تساؤل مُلِّح: «كيف يمكن لمعدة واحدة أن تهضم طعامًا يكفي ثلاثة أشخاص!..»

قبل أن يحمل أرماندو الطعام إلى المائدة الملكية؛ اخترقت أذنه عبارة الطاهي حين قال ساخرًا: «الطبق الكبير للملك، لا تخطيء!..». وبينما كان يقوم برص الأطباق فوق المائدة واتته الفرصة لسماع حوار باسم كان يدور بين فاروق ورفيقته..

- تعجبك الكاديلاك! لم تجربي الباكار السوداء؛ كنت أستطيع تحويل المقعد الخلفي إلى سرير، حتى بابها كان عجيبًا! حين يفتحه السائق ينزلق أسفله سلم صغير.

- أووه عزيزي، تشتاق لتلك الأيام.

أشاح فاروق بكفه قبل أن يقول:

- أيامٌ ولَّت وذهبت.

صمت قليلًا ثم أشار برأسه ناحية أرماندو، الذي كان ما يزال منهكمًا في تقديم الطعام:

- كما ذهب هؤلاء من مصر بلا رجعة.

ابتسم أرماندو دون تعقيب، ثم غادر على الفور، وانهمك فاروق في تناول ما طلبه بنهم وشراهة لم يجد سواهما لإفراغ غيظه وغضبه من تقلب الأحوال. بعد أن فرغ من طعامه، وقبل أن يرفع رأسه، هرول أرماندو إليه بخطوات سريعة؛ فأمره بإحضار كعكة محشوة بالمربى وقليل من الفاكهة. دقائق قليلة وكان أرماندو قد أحضر الطلب الملكي، ومعه كأسٌ زجاجي من عصير البرتقال. نظر فاروق نحو الكأس مستغربًا، لكن أرماندو بادر قائلًا، والخجل يكاد يقطر من جبينه:

- «كومبليمو» جلالتك، لمن كنا سعداء في عهده.

زفر فاروق في ضيق، لكنه أومأ برأسه قبل أن يصرفه بإشارة من يده، شرع في تناول الكعكة حتى التهم نصفها، ثم تناول خمس موزات أعقبها خمس تفاحات، وجرع كأس البرتقال على دفعتين. أسند ظهره على المقعد وهو يتنهد بصوت مسموع، كأنه أنهى للتو سباق ماراثون طويل، رغم ذلك مد يده في جيبه مخرجًا جرابًا فاخرًا، أخرج منه سيجارًا جديدًا، أشعله ثم أخذ ينفث دخانه مسترخيًا بينما كان يراقب نظرات التلصص التي كانت ترميه بها العيون من حوله. تحدثت الشابة بصوتٍ بدا عليه الملل: «زهقت، ألن نرحل!..»

رمقها فاروق للحظة قبل أن يقول في هدوء:

- أنا من أقرر متى نرحل، أنا الملك.

انتبهت الشابة لفداحة جرمها، وشخصية رفيقها، فقالت محاولة تهدئة حدة الموقف:

- معذرةً يا عزيزي، لم أقصد أبدًا.

قطَّب فاروق حاجبيه قبل أن يقول بعدما ترك سيجاره في المطفأة، وأخذ يمسح بمنديله الأبيض قطرات من العرق تناثرت فوق جبهته:

- لا عليك، يبدو أن مزاجي لم يعد جيدًا، لعلي أكثرت من الطعام كالعادة.

صمت لوهلة، ثم ارتسمت على ملامحه علامات ضيق:

- الجو أصبح حارًا، لا أفهم كيف..

لم يكمل عبارته، توقف عن الحديث فجأة، تقلصت عضلات وجهه، بدا وكأنه يعاني من شيءٍ ما؛ مدّ يمينه ناحية كتفه اليسرى، أمسك به متألمًا، ووجهه أخذ في الاحتقان بصورة مقلقة، صوت أنفاسِه بات مسموعًا بشكلٍ ملحوظ. تحركت يمينه مرة أخرى، لكنها هذه المرةكانت تمسك برقبته، بعدما فشلت في حل رابطة عنقه؛ كأنه يحاول أن يفسح لنفسه مجالًا للتنفس، وفجأة انهار جسده الضخم، سقط رأسه فوق المائدة بين الأطباق الخاوية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢١١٩٦٥حين وصل إلى المقبرة، وضع مرتضى المراغي كفَّيه في جيبي معطفه الصوفي الثقيل، كان الطقس باردًا ذلك الصباح، المطر قد توقف منذ ساعاتٍ قليلة، بعد ليلتين من الخرير المتواصل. كان مزاجه متعكرًا للغاية؛ كيف يتركون ملك مصر والسودان يُدفن وحيدًا في مقابر مسيحية بدولة غريبة! كان المشهد كله عبثيًا بالنسبة له. عندما قرأ خبر وفاة فاروق في الصحف منذ يومين لم يصدقه؛ فرغم انقطاع أخباره عنه ـمنذ تنازله عن العرش لابنه الأمير أحمد فؤادـ إلا أنه ما يزال يعتبره ملكه والحاكم الشرعي لمصر. ورغم كل المضايقات التي كان يتعرض لها من أتباع الثورة، تمتم من بين أسنانه ساخطًا: «انقلاب ثم حركة مباركة ثم ثورة، أي سخف هذا!»، لكنه حين علم بموعد جنازته لم يتوانَ عن الاشتراك فيها.

قبل أن يتحرك قاصدًا مدينة روما، غلبته طبيعة عمله كآخر وزير للداخلية في العهد الملكي؛ قام ببعض التحريات العاجلة لمعرفة حقيقة ما حدث. أخبره ضابط إيطالي تربطه به صداقة قديمة، أن رواد المطعم الشهير أفادوا في شهاداتهم أثناء التحقيقات الأولية برؤيتهم لفاروق ينكبُّ مغشيًا عليه على المائدة بعدما شكى من ضيقٍ في التنفس أدى إلى احمرار وجهه، دفع به إلى وضع يده على حلقه .تم استدعاء الإسعاف على الفور، نقلته سريعًا إلى مستشفى سان كاميلو، أقرب مستشفى إلى المطعم، حاول الطبيب الذى رافقه في سيارة الإسعاف إنعاش قلبه، إلا أن فاروق تُوُفِّيَ داخل السيارة بينما كانت تعبر بوابة المستشفى. ما زال يذكر ذلك اليقين الذي غلف نبرات صديقه حين أخبره في نهاية المكالمة: «تقارير الأطباء تشير إلى أن

رجلًا بدينًا مثل فاروق، يعاني من ضغط الدم المرتفع وضيق الشرايين، لابد أن يقتله الطعام، خصوصًا إذا كان مثل وجبته العجيبة التي تناولها في تلك الليلة.»

ورغم أن المراغي كان على علم باعتلال قلب فاروق، ونصائح الأطباء له بتخفيف وزنه؛ إلا أن شيئًا ما في صدره لم يجعله يستريح لهذه الفرضية؛ فقام بالاتصال بصديقٍ آخر يعمل بالبوليس السري الإيطالي. أخبره بأن التحقيقات ما زالت مستمرة، لكن الأمر لا يخلو من الشكوك؛ فشهود العيان أفادوا بوجود شابة فاتنة كانت برفقة فاروق وقت الحادث، لكن بعد وفاته لم يجد لها أحد أي أثر، كذلك النادل اليهودي المدعو «أرماندو» اختفى تمامًا بعد الحادث، جاءه صوته عبر خطوط الهاتف يحمل قدرًا كافيًا من الريبة حين قال قبل أن ينهي المكالمة: «وعلمنا من إدارة المطعم أن هذا الأرماندو لم يلتحق بالعمل لديهم إلا منذ شهرين فقط، لا نستبعد أن يكون قد تم تسميم طعام الملك، لكن الغريب في الأمر أن المحققين حين طلبوا تشريح الجثة رفضت عائلته، ووافقوا على التقرير المبدئي الصادر من المستشفى، والذي يفيد بوفاته نتيجة التخمة!.»

كان الحنق قد بلغ من مرتضى المراغي درجة كبيرة، لكن توافد الحضور جعله يوقف تدفق أفكاره وينتبه؛ المشهد الذي رآه كان مؤثرًا، لم ينمحِ من ذاكرته طيلة حياته، حين اقتربت منه الأميرة فريال ابنة فاروق، وفي يدها ولدٌ صغير تظهر عليه حالة ارتباك شديد، أومأت برأسها ثم قالت بصوتٍ خفيض: «مرتضى باشا..»

على الفور تحرك نحوها ثم انحنى يقبل يدها: «سمو الأميرة، البقية في حياتك..»

بدا على الأميرة قدرٌ من التردد، لكنها استجمعت شجاعتها، قبل أن يخرج صوتها بأدبٍ مفرط وذات النبرة الخفيضة:

- تسمح تساعده يقرأ الفاتحة على روح أبوه.

رغم شخصيته القوية، وقدرته الكبيرة على تمالك نفسه في أصعب المواقف، لكن هذا الموقف كان أكبر من قدرته على التحمل؛ سالت دموع المراغي عندما انحنى يقبل رأس الولد الصغير، أحمد فؤاد الذى قاسى فاروق طويلًا من أجل أن ينجبه وكان يحلم أن يرثه. مسح بكفِّه على شعر الصغير، ثم طلب منه أن يردد خلفه ما يقول، حين انتهى؛ أمسكت أخته بيده مرة أخرى، ودون كلمة واحدة مسحت دموعها ثم أخذته وانسحبت في هدوء.

راقبهما في صمت وهما يبتعدان، يتجهان نحو عددٍ قليلٍ من الناس تجمعوا بالقرب من الجثمان الملكي الراقد داخل صندوقه الخشبي الأنيق، يحيط به أربعة من الضباط الإيطاليين. قادته قدماه دون تفكير ناحية جثمان مليكه المحبوب، وهناك رأى أسرة فاروق التي تجمعت من الشتات؛ فجاء أولاده من سويسرا، وخلفهم كانت تقف أمه نازلي وإلى جوارها أخته فائقة من أمريكا، وعلى مسافة ليست بعيدة كانت الملكتان السابقتان فريدة وناريمان تقفان بملامح محايدة. أومأ برأسه بتأدبٍ محيِّيًا الملكات الثلاث، وقبل أن يقترب من الصندوق لمح إسماعيل شيرين يعبر بوابة المقبرة بخطوات مسرعة، ومن ورائه الأميرة فوزية شقيقة فاروق.

توقف المراغي لبرهة، وقد ظهر العبوس على ملامحه، منتظرًا قدوم إسماعيل شيرين، تصافح الرجلان دون ودٍّ حقيقي، وما أن اقتربت الأميرة فوزية حتى سارع المراغي بتقبيل يدها الممدودة، قال بعد أن فرغ من تقديم واجب العزاء:

- سمو الأميرة، كيف وافقتم على دفنه هنا!.

تشاغلت الأميرة بالنظر ناحية أمها وأختها قبل أن تقول ببرود:

- الملك فيصل عرض أن ندفنه في السعودية.

«ماذا!..»

رفع المراغي حاجبيه وخرج صوته محتدًّا رغمًا عنه، ثم تنبه لفظاظة تعليقه فالتفت صوب إسماعيل شيرين قائلًا بصوتٍ رغم أنه كان هادئًا لكنه كان يحمل اعتراضًا واضحًا وغيظًا مكتومًا:

- وأنت إسماعيل باشا! كيف تسمح بذلك؟

تلفَّت إسماعيل حوله عدة مرات قبل أن يقول بصوتٍ خفيض:

- اخفِض صوتك، لا نعلم من يسمعنا.

تلفَّت المراغي حوله عدة مرات، ثم تذكر ما كان من إسماعيل شيرين قبل سنوات ليست ببعيدة، وقت أن كان وزيرًا للحربية؛ فتمتم في نفسه: «مازلت ضعيفًا يا باشا كما عهدتك، أنت السبب في كل ما حدث». أفاقه من نوبة أفكاره صوت إسماعيل شيرين وهو يقول بقلة حيلة:

- وافق عبدالناصر بعد وساطة الملك فيصل على أن نعود به لمصر، لكنه اشترط ألا يُدفن في مسجد الرفاعي بجوار أبيه وجده.

- ولكن أين سيدفن؟!

صمت إسماعيل لبرهة ثم قال بصوتٍ حزين:

- في مقبرة إبراهيم باشا، في الإمام الشافعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«ماتَ المَلِك، عاشَ المَلِك..»

١٩٣٦لم يكن قد مضى سوى عشرة أيام على رحيل الملك فؤاد، حتى رست الباخرة التي تقل نجله فاروق، أمير الصعيد والملك الجديد المنتظر، عائدة من إنجلترا. كان فاروق منذ وصلَه الخبر قد دخل في حالة من الحزن على رحيل أبيه دون أن يراه، كان ما أوجعه حقًا ما أخبروه به من أن والده الملك قد مات وهو يعيد قراءة آخر رسالة كتبها له.

رغم الحزن إلا أن مشاعر كثيرة تطاحنت داخل نفسه، مشاعر القلق من المجهول، والخوف من مسئولية عرش مصر. فقبل عدة أشهر، كان أبوه قد رأى بعدما بلغ

وريث عرشه الخامسة عشر، أن يشرع في تنفيذ خطة إعداده كولي للعهد، بإرساله لاستكمال دراسته في إنجلترا، بعدما قضى السنوات السابقة يتلقى تعليمه بإشراف مباشر من مدير التعليم بمدارس الأوقاف الخصوصية الملكية. وقع اختيار أبيه على ساند هارست، مدرسة عسكرية يلتحق بها أبناء الأسرة المالكة والأسرات العريقة في أوروبا، لكن ما كان يشغل باله حقًا هو اختيار الحاشية التي ستكون مهمتها مرافقة الأمير الصغير، والأهم كان تحديد الشخصية التي تصلح لشرف رئاسة هذه الحاشية. رشَّح المقربون أحمد حسنين بِك، لكنه سرعان ما تجاهل هذا الترشيح بعدما بلغه اعتذار حسنين بحجة التزاماته المالية الكبيرة التي يلزم الوفاء بها قبل سفره!. واستراح الملك لترشيح عزيز بك المصري؛ لما كان يعرفه عن نشأته العسكرية الصارمة في ألمانيا وتركيا، إلا أن الإنجليز عارضوا بشدة، عرضوا أن تتولى شخصية إنجليزية رفيعة المقام هذا الشرف، وهو الأمر الذي لم يلقَ قبولًا لدى الملك، مما اضطره في النهاية إلى العودة للمرشح الأول، أحمد حسنين بك؛ فتمت تسوية مديونياته، وعُيِّن رائدًا لولي العهد، أي رئيسًا للحاشية المرافقة لفاروق. استقر فاروق في كنري هاوس، قصر هادىء صغير في أحد الضواحي القريبة من لندن، وبدأ في تنفيذ مخططات والده، لكن شاءت الأقدار أن تكون رحلة فاروق مبدأ فراقه الأبدي لأبيه.

«مولاي، رست الباخرة..»

انتبه فاروق على صوت ياوره الشاب عمر فتحي؛ ترك أفكاره ومشاعره المتضاربة وبدأ في التجهز للظهور أمام شعبه، للمرة الأولى كملك. اختلس نظرة سريعة من زجاج نافذة قمرته الملكية، كان رصيف الميناء مزدحمًا، حشدٌ هائل من البشر، الأعلام الخضراء ترفرف فوق أكفهم المرفوعة، ثم كبار رجال الدولة من الوزراء والباشوات، على رأسهم رئيس الوزراء علي ماهر، وعدد كبير من قيادات الجيش والشرطة. لم يكن فاروق يعرف في كل هذه الوجوه سوى علي ماهر، ربما رآه صدفة في القصر حينما كان يحضر للقاء أبيه الراحل.

التفت فاروق نحو عمر فتحي في دهشة:

- من كل هؤلاء الناس؟.

ابتسم البكباشي بفخر:

- رعيتك يا مولاي، في شرف استقبالك.

غادر فاروق قمرته، من ممر الباخرة أطل على الجمع الغفير المحتشد على رصيف الميناء، تردد لوهلة ثم رفع كفه ملوحًا في حركة عصبية. هدرت الهتافات بحياة الملك الجديد؛ سحرهم بوسامته وملامحه البريئة. لمعت عيناه بعدما تبادل النظرات مع رائده أحمد حسنين، بدأت الثقة تسري في عروقه حين عزفت فرقة الموسيقى العسكرية. كلما علت الهتافات كلما شعر بخطواته تزداد رسوخًا أثناء نزوله سلم الباخرة، وعندما انطلقت أسراب الحمام الأبيض تحلق في سماء الإسكندرية كانت ابتسامته قد اتسعت لتضفي على ملامحه البريئة وسامة إضافية.

رغم فقده لأبيه إلا أن ما عايشه في هذه اللحظة حول حزنه إلى فرحة؛ فأخذ يلوح بيده للجموع المحتشدة في سعادة كلما سمعهم يهتفون بحياته. وازدادت سعادته أكثر حينما تحرك كبار رجال الدولة نحوه مرحبين، ثم أحنوا رؤوسهم أمامه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم حالة الحزن التي غلفت القصر الملكي من الخارج، لكن شيئًا ما كان يدور داخله منح زواره انطباعًا مختلفًا. كان قد مضى أكثر من ساعة، أعضاء مجلس الوصاية وزعيم الأمة النحاس باشا يجلسون متململين، ينتظرون تشريف الملكة الأم، تبادلوا النظرات فيما بينهم دون تعليق واحد؛ يتعجبون من رغبة الملكة نازلي في مقابلتهم في قاعة المصاحف، بسقفها المرتفع وأثاثها الفخم، السجاجيد العجمية والثريات الضخمة، الجدران تحمل زخرفة إسلامية، تمنحها أصالة ندر أن تتوفر لغيرها من قاعات القصر العريق.

بدا الغضب واضحًا على الأمير محمد علي رئيس المجلس من فترة الانتظار التي طالت بما لا يليق بمقامه، تبادل شريف صبري باشا وعزيز عزت باشا عضوَيّ المجلس النظرات في صمت، بينما أخذ مصطفى النحاس يراقب ما يحدث في توجس، يرشف فنجان قهوته ممتعضًا، حتى هذه اللحظة لم يكن يتذوق أفضل من بن مقهى ماتاتيا.

انفتح الباب الخشبي المزخرف بصوت مسموع؛ وقف الجميع احترامًا عندما ظهرت الملكة. تقدمت في شموخ وصلابة، ترتدي ملابس الحداد، لكنها كانت في كامل زينتها، خطواتها ثابتة ورأسها مرفوع في كبرياء، طويلة القامة ورشيقة القدّ، بشرتها بيضاء، وشعرها أسود مصفف بعناية يزينه تاجٌ ماسيٌّ فخم، عيناها سوداوان واسعتان. بدت قوية وجميلة رغم تجاوزها الأربعين، لا تختلف كثيرًا عن تلك الفتاة العشرينية التي دخلت هذا القصر لأول مرة عند زواجها من فؤاد، بعد طلاقه من زوجته الأولى الأميرة شويكار!.

استراحت نازلي فوق المقعد المتوسط للقاعة الفخمة، مقعد الملك، انتظرت لحظات وعيناها تطوف بوجوه الوقوف أمامها؛ كانت صاحبة فطنة، تعرف جيدًا نوايا كل واحد منهم، ابتسمت في برود حين اقترب منها الأمير محمد علي، انحنى يقبل يدها الممدوة:

- البقية في حياة جلالتك، مصيبتنا في فراق مولانا لا تُعَوَّض.

على الفور ردت نازلي بنبرة كشفت بها عن أنيابها:

- بل تعوض سمو الأمير.

تراجع الأمير خطوتين للوراء، اكتست ملامحه بالدهشة، لكن نازلي أكملت:

- أمير الصعيد، ابني فاروق، سيكون خير خلف.

انبرى عزيز عزت محاولًا تلطيف الأجواء:

- بالطبع يا مولاتي، ربنا يبارك لنا في سمو الأمير فاروق.

رمته نازلي بنظرة أصابته بالقلق:

- اسمه جلالة الملك يا باشا، جلالة الملك المعظم.

التزم عزيز عزت الصمت بينما تقدم منها شريف صبري، معتمدًا على قرابته، وقال بنبرة لطيفة:

- ما جئنا إلا لنستنير بمشورة جلالتك.

- أي مشورة شريف باشا!.

لم يستطع الأمير محمد علي كبح جماح نفسه أكثر من ذلك؛ اندفعت الكلمات من فمه على الفور:

- فاروق لم يكمل تعليمه، لابد أن يعود إلى لندن لاستكمال ما بدأه.

صمت للحظة ثم أردف بنبرة أقل حدة بعدما خشي من عواقب اندفاعه:

- جلالتك تعرفين أكثر منا أن هذه كانت رغبة المرحوم.

شدت نازلي قامتها فوق الكرسي الضخم، وقالت بحسم:

- سيكمل تعليمه هنا، لن يسافر.

تحدث مصطفى النحاس لأول مرة منذ بدأ هذا النزال الساخن، خرج صوته ودودًا رغم ما تجيش به نفسه من مشاعر حرص على إخفائها بحنكة صقلها العمل السياسي ومرافقته لسعد زغلول سنوات طويلة:

- مولاتي، هذه ليست المشكلة.

بدا صوت نازلي ليِّنًا حيث سألته:

- ما المشكلة إذن دولة الباشا؟.

تنحنح النحاس قبل أن يقول:

- هناك أمور مهمة تحتاج لتوضيح، قرارات حاسمة لابد من الاتفاق عليها جلالتك.

انتصبت نازلي منهية الحوار، وخرجت الكلمات من شفتيها حازمة قبل أن تغادر القاعة:

- أمور مهمة وقرارات خطيرة! أظن أنه لا يجوز مناقشة ذلك في غياب الملك يا دولة الباشا.

أحنى الجميع رأسه احترامًا بينما كانت نظراتهم تتابعها وهي تغادر القاعة بذات الخطوات الواثقة التي دخلت بها، كان كل واحد منهم قد تركت تلك المقابلة انطباعًا داخله، وكان أول المغادرين هو الأمير محمد علي بعد أن احمر وجهه لدرجة ملحوظة وأخذ يبرطم بكلمات لم يُفهَم منها شيئًا، وبهدوء استأذن شريف صبري

باشا في الانصراف، خلت القاعة على النحاس وعزيز عزت الذي اقترب منه قائلًا بصوت أقرب إلى الهمس:

- ما رأيك دولة الباشا؟.

خلع النحاس طربوشه، مسح بمنديله الأبيض العرق عن صلعته، قبل أن يقول:

- مع موت المرحوم، تحررت جلالتها من قيودها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انطلق القطار الملكي، من الإسكندرية إلى القاهرة، حاملًا فاروق وكل رجال الحكومة والحاشية وقوفًا؛ يتطلعون من العربة الملكية إلى الحشود الغفيرة وقد اصطفوا يستقبلون ملكهم الجديد. الأهالي والمزارعون يلوحون من مزارعهم بالرايات والأغصان، مظاهرة حب غير مسبوقة، فلاحون بسطاء حفاة يلوحون بأيديهم للملك الصغير، بعضهم يهرول خلف القطار، وآخرون يحاولون التعلق بعرباته. النسوة تنطلق حناجرهن بالزغاريد، الفرق الشعبية تعزف بالمزامير والطبل البلدي. مشاعر صادقة جاشت بها الصدور تجاه فاروق، كان كل أب يرى فيه صورة ابنه، وكل أم حلم ولدها، وكل فتى وفتاة أنه أخ بوجهه الوسيم وملامحه البريئة.

وقف فاروق في عربته الملكية متأثرًا بما يراه لأول مرة، مبهورًا بكل هذا الحب، نسيَ ما كان في نفسه من حزن، وأخذ يرد على هذه الفرحة الحقيقية بإلقاء النقود الفضية للجميع. اقترب أحمد حسنين من ملكه الصغير ثم همس في أذنه؛ التفت على إثرها فاروق باحثًا عن علي ماهر باشا، الذي أسرعت خطواته تحمله إلى حيث يقف الملك، شكره على هذا الاستقبال الحاشد، ثم أمره بالإعلان عن نزوله عن خمسين ألف جنيه من مخصصاته السنوية لصالح الشعب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طوال الطريق من قصر القبة إلى منزله بجاردن سيتي، ظل مصطفى النحاس صامتًا، لم يتحدث مع سائقه كما هي عادته دائمًا، شرد ببصره عبر نافذة السيارة في شوارع القاهرة وناسها، القلق كان يحفر خنادقه في صدره؛ لم يكن يعرف كيف يتصرف حيال التطورات الأخيرة التي حدثت في القصر الملكي، كان مدركًا لأن الموت هو الحقيقة المؤكدة في هذه الحياة، ومع ذلك لم يكن يتصور كيف ستسير الأمور بعد وفاة فؤاد في ظل الظروف العصيبة التي يمر بها العالم بأسره. ومضات من تاريخه الطويل عبرت أمام عينيه في لحظة، تذكر بداياته حين تخرج من كلية الحقوق منذ ستةٍ وثلاثين عامًا، تفوقه الدراسي ورفضه العمل كمساعد للنيابة، تفضيله العمل كمحامٍ في مكتب محمد فريد بك، ثم تعيينه كقاضٍ بمحكمة قنا وأسوان بعد اقتناع أبيه برأيٍ عبدالخالق ثروت باشا. تذكَّر كيف اختاره سعد زغلول ليكون ضمن أعضاء الوفد المصري السبعة الذين سينقلون صوت مصر للعالم، حينما أعلن الرئيس الأمريكي عن المباديء الأربعة عشر بحق الشعوب الصغيرة في تقرير مصيرها. صور كثيرة تتابعت في عقله عن ثورة ١٩١٩، الحماسة والأمل

يرفرفان على كل ربوع البلاد، وقتها كان يدفس المنشورات داخل ملابسه، يوزعها مع مجموعته على الشعب، بسببها تم فصله من القضاء، وبسببها أيضًا افتتح مكتبه الخاص للمحاماة. تذكر أيام المنفى، حين تم إبعاده مع سعد زغلول ومكرم عبيد إلى باريس. أصوات الحشود الهائلة في جنازة سعد زغلول ما تزال في أذنيه حتى الآن، وكيف أصبح بعدها رئيسًا لحزب الوفد خلفًا للزعيم الراحل. تذكر تلك الحالة الغريبة من الكراهية التي كان يشعر بها من الملك فؤاد، دون أن يجد لها سببًا واضحًا!.

انتشله صوت السائق من بئر ذكرياته حين أخبره بوصولهم، رغم كل الهموم التي تشغل رأسه، والسبعة وخمسون عامًا التي يحملها فوق كاهله؛ إلا أن خطواته كانت نشيطة حين خطا داخل منزله، لم تكن زوجته زينب الوكيل موجودة، لم يتعجب فقد كان يعلم بأنشطتها المتعددة، ربما كانت في زيارة لواحدة من الصديقات أو في زيارة لأحد الأندية التي ترعى المحتاجين؛ هكذا حدث نفسه. علق طربوشه الأحمر فوق شماعة قرب المدخل، على يمين الباب، ثم حملته قدماه عبر الردهة الفخمة إلى غرفة نومه. بدل ملابسه في عجالة ثم استلقى فوق فراشه، بعد أن أحكم فرد الناموسية على أعمدة السرير المعدنية؛ طلبًا لهدنة قصيرة من التفكير.

لكن الراحة أبت أن ترافق عقله المصطخب بالأفكار؛ لم يكن فاروق هو من يشغل باله ـرغم صغر سنه وعدم معرفته لطريقة مناسبة للتعامل معهـ كان ما يشغله حقًا هو علي ماهر غريمه اللدود، وأحمد حسنين ذلك الطامح الطامع، وما كان يقلقه أكثر هو ما رآه من تغيُّر في شخصية نازلي؛ يعرفها جيدًا بحكم صلته القوية بسعد زغلول وبيته، حيث كانت نشأتها في بيت زعيم الأمة!.

ما زال يذكر ملامحها حين شاهدها لأول مرة في بيت الأمة، لفتت نظره بقامتها الطويلة، بشرتها البيضاء، وشعرها الأسود المنسدل إلى ما تحت ظهرها، وأيضًا بقوة شخصيتها التي كانت واضحة؛ فأخبره سعد زغلول أنها ابنة توفيقة هانم شريف صديقة زوجته. عرفها على الفور فأبوها عبدالرحيم صبري باشا كان مديرًا لمديرية المنوفية، وأمها ابنة محمد شريف باشا، أبو الدستور المصري ورئيس الوزراء، جدها لأمها سليمان باشا الفرنساوي الذي جاء لمصر مع الحملة الفرنسية، لكنه رفض الرحيل ومكث بها وأشهر إسلامه.

كانت فتاة رومانسية، وكانت أيضًا رسَّامة جيدة، برعت في رسم لوحات جميلة من الزهور. بعد وفاة أمها عهد أبوها إلى السيدة صفية زغلول مهمة تربيتها ورعايتها بناء على وصية توفيقة هانم حين قالت لصفية: «أوصيكِ بنازلي، اعتبريها ابنتك».

وفي ذات المنزل كان سعد زغلول متكفلًا بابن شقيقته، ابنه بالتبني سعيد زغلول، شابٌّ لهُ عينان جميلتان، طويل القامة، عريض المنكبين، كان صورة طبق الأصل من خاله. سعيد كان يشغل منصبًا شرفيًا فى القصر السلطاني، أيام حكم الأمير حسين كامل، وبعد أن ولى الإنجليز فؤاد، قدم سعيد استقالته. أحب سعيد الفتاة الصغيرة نازلي، ملأت قلبه وفكره وأحلامه، كانت يتيمة مثله، ماتت أمها كما ماتت أمه، كان يقطع الورود من حديقة بيت الأمة ويهديها لها؛ فتخفيها فى صدرها

بسرعة. ومع الأيام، تحول الحب إلى طلب صريح بالزواج، لكن كان للقدر رأيٌ آخر.

من بين كل بنات الأُسر الراقية، لم يقع اختيار السلطان فؤاد إلا على نازلي. بعد طلاقه من الأميرة شويكار، كان يبحث عن زوجة جديدة، يكثر من الذهاب إلى الأوبرا متنكرًا، لمح ذات ليلة ثلاث فتيات تختفي وجوههن وراء البرقع الأبيض، بينهن فتاة طويلة، نظراتها الضاحكة سلبت قلبه، بعد انتهاء الأوبرا راح يصفها لمن حوله، كان مهتمًا بأن يجدها، يريد أن يعرف هل هي متزوجة أم لا. وسريعًا عرفت حاشيته شخصيتها؛ فأرسل إلى سعد زغلول يطلب يدها.

وبسبب نازلي جرى أول صدام مباشر بين السلطان وزعيم الأمة، لكنه كان بدون فائدة؛ فالطلب حين يكون ملكيًا يصبح أمرًا لا راد لقضائه!. وبين ليلةٍ وضحاها، تحول بيت الأمة إلى مأتم كبير، لأن فؤاد خطف الفتاة التى اختارها سعد زوجة لابنه بالتبنى، وأحست صفيَّة بصدمة عنيفة، كأن فؤاد اختطف ابنتها، الفتاة الصغيرة اليتيمة، حاولت نازلي الهرب، لكنها كانت محاولة فاشلة. كان زفافها هو جنازتها، ولم يذهب أحد من الأسرة إلى بيتها منذ ذلك الوقت!.

اعتدل النحاس فوق فراشه بعدما جافاه النوم، قرر التوجه إلى غرفة مكتبه لتدوين ما مر بذهنه من خواطر في كراسة يومياته التي يحرص عليها منذ أيام المنفى، ارتدى روبه الصوفي الأنيق فوق ملابس النوم، طلب من خادمه الأسمر فنجانًا من القهوة، التي يحرص على أن تكون لها نفس تحويجة مقهى ماتاتيا. وحين جلس خلف مكتبه الخشبي وأمسك بالقلم، اقتحم الغرفة مكرم عبيد، سكرتير الوفد وصديقه، تكسو ملامحه علامات فرح، وقبل أن يسأله النحاس عن سبب قدومه المفاجيء بادره مكرم:

- الأمور تتسارع بصورة عجيبة!.

لم يعلق النحاس، اكتفى بترك قلمه قبل أن يتناول فنجان قهوته، وأخذ يرشف منه ببطء، لكن مكرم لم يتوقف فأكمل:

- فاروق تبرع بخمسين ألف جنيه من مخصصاته للشعب.

رفع النحاس منكبيه بلا اكتراث، ثم أكمل استمتاعه بالقهوة، فغمز مكرم بعينه قبل أن يقول:

- علي ماهر استقال من رئاسة الوزارة.

اعتدل النحاس في جلسته ثم رمقه بنظرة متفرسة، فقال مكرم على الفور:

- يبدو أن الوزارة ستعود لنا يا صديقي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عقارب الساعة الكبيرة تشير إلى الخامسة إلا ربع، اقترب موعد سير لامبسون ـالسفير الإنجليزيـ مع الأمير محمد علي؛ أغلق أزرار الصديري بعدما شفط بطنه

الضخم بقدرٍ معقول، أعاد ضبط رابطة عنقه الزرقاء؛ جعل عقدتها أكثر إحكامًا تميل جهة اليسار قليلًا. كان أمين عثمان وزير المالية قد أبلغه، منذ ما يجاوز الساعة تقريبًا، برغبة رئيس مجلس الوصاية الملحة في لقائه. علم بالطبع دوافعه وراء هذا الطلب، لكن ذلك لم يكن يشغل باله؛ ذكريات كثيرة تلح على عقله منذ الصباح الباكر، توقظ داخله مشاعر الحنين لزوجته الأولى، تذكِّره بفترة خدمته في الصين التي أثبت فيها أنه من رجال الإمبراطورية الذين تعتمد عليهم في إدارة ممالكها.

علاقته بمصر بدأت بعد وفاة زوجته الأولى في الصين بفترة قصيرة، في ذلك الوقت كان إيفاده للقاهرة مرتبطًا بمهمة لها خصوصية شديدة؛ رغبة الحكومة البريطانية في تعزيز وجودها ونفوذها في مصر، التوصل إلى حل مع القوى الوطنية المصرية ذات التأثير، وأهمها حزب الوفد. لذلك كان أول أعماله فور وصوله لمصر هو التمهيد والإعداد لعودة حزب الوفد إلى الحكم، عن طريق تراضٍ مع الملك فؤاد.

انتبه من صخب أفكاره على صوت جاكلين، زوجته الثانية:

- الساعة قاربت على الخامسة، ليس من عادتك التأخر عزيزي مايلز!

أومأ مبتسمًا ثم طبع قبلة حانية على رأسها، تحرك بقامته الفارعة وجسده الضخم مغادرًا غرفة نومه إلى حديقة المنزل. رغم أن فارق السن بينهما ستٌّ وثلاثون سنة، هو نفسه كان يقول إنها في سن ابنته، لكنه أحبها!. بدأت قصته معها بعد وصوله القاهرة بفترة قصيرة؛ كان في حاجة إلى مضيفة لبيته، لذلك جاءت ابنته ماري لتقيم معه، لكنها عادت بعد قليل إلى إنجلترا لمتابعة شئونها، وتولت المسئولية بدلًا منها ابنة شقيقة له ما لبثت أن دعت بعضًا من صديقاتها ليجئن إلى القاهرة، من بين الضيفات، كانت الجميلة جاكلين. أعجب بها فور أن وقعت عيناه عليها، تزوج منها قبل أن تنتهي زيارتها القصيرة للقاهرة، وتحولت من ضيفةِ ابنة شقيقة المعتمد البريطاني إلى زوجته.

جلس إلى مائدة بيضاوية تتوسط الحديقة المنمقة، أخرج من جيبه سيجارًا ثم أشعله، تراقصت سحب الدخان أمام وجهه؛ عادت الأفكار تداعب رأسه الضخم من جديد. كعادته بدأ ذهنه يرتب لاحتمالات لقائه مع الأمير محمد علي، كان ما يشغل باله هو شرعية حكم هذا الولد فاروق، فرغم أن الحكومة المصرية هي التي نادت به ملكًا على مصر عقب وفاة أبيه، إلا أن ولاية العهد ذاتها كانت مستمدة من الوثيقة البريطانية التي اعترفت بحقه في وراثة العرش، بحكم أن بريطانيا هي التي عزلت الخديوي عباس الثاني وأقامت خلفًا له السلطان حسين ثم السلطان فؤاد. ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه حين تذكر أن ذلك كان ما دعا فؤاد إلى مفاوضة عباس الثاني، والحصول منه على وثيقة موقعة بالنزول عن حقه وحق ورثته في العرش نظير مبلغ مالي كبير!.

دنا منه أحد الخدم يخبره بوصول الضيوف؛ أجابه بإشارة خفيفة من يده، لحظات وظهر الأمير محمد علي واجمًا، بوجهه الأحمر ولحيته البيضاء، ومن خلفه أمين عثمان بقبعته الأوروبية راسمًا على وجهه ابتسامة لزجة. وقف لامبسون فاردًا

ذراعيه في ترحاب لم يعتادا عليه قبل ذلك، بعد عبارات المجاملة التقليدية أشار لهما بالجلوس، وأخذ يتفرس ملامح الأمير الذي بدا متعكر المزاج، سحب لامبسون نفسًا من سيجاره ثم قال بنبرة ودودة:

- سمو الأمير أراك في مزاجٍ يخلو من البهجة.

ردَّ الأمير في اقتضاب:

- لا شيء سير مايلز، لا شيء.

سارع أمين عثمان بالتدخل في الحديث:

- بل هناك شيء سيدي السفير، سمو الأمير غاضب ولا شك.

دارت عينا لامبسون بين ضيفيه قبل أن يركز نظراته إلى الأمير:

- سمو الأمير، تعلم جيدًا أنك رجلنا المفضل ومحل ثقتنا.

قرن الأمير حاجبيه، رفع رأسه في كبرياء:

- حقًا! لم لا أجد أي دعمٍ منكم إذن؟.

تجاهل لامبسون إجابته؛ بعدما أغاظه ذلك السلوك الذي وجد فيه تكبرًا:

- الأخبار التي وصلتنا من الإسكندرية تقول أن المصريين سعداء جدًا بالولد الصغير، هو أيضًا كان فرحًا، سمعت أنه لا يصدق ما يراه.

تغيَّر لون الأمير؛ ازداد احمرار وجهه:

- كما قلت سير مايلز، مجرد ولد صغير، من الطبيعي أن ينال تعاطفًا شعبيًّا.

من جديد تدخل أمين عثمان، أضاف:

- خاصة أن فؤاد كان مكروهًا، قد تكون الفرحة برحيل فؤاد وليست بقدوم فاروق.

داعب لامبسون بأصابعه الضخمة سيجاره المشتعل قبل أن يقول:

- لا يا عزيزي أمين، الشعب وقع في غرام الولد.

هبَّ أمين عثمان واقفًا:

- ولكنه لا يصلح أبدًا سعادة السفير، إنه حتى لم يكمل تعليمه!.

تجاهل لامبسون تعليقات أمين عثمان، والتفت بوجهه ناحية الأمير:

- الشرعية يا سمو الأمير، الشرعية هي التي جعلته ملكًا.

ردَّ محمد علي بعصبية، أعماه غضبه عن مراعاة أصول التعامل مع السفير البريطاني:

- مكانه ليس فوق العرش، عرش مصر!

نظر لامبسون إليه لفترة ثم قال بنبرة ذات مغزى:

- هي نفس الشرعية التي جعلتك وليًا للعهد.

بمداهنة واضحة حاول أمين عثمان تلطيف الأجواء:

- لكن سيدي السفير، كثيرًا ما تؤدي الشرعية إلى كوارث.

زفر لامبسون دخان سيجاره قبل أن يقول بحسم:

- والتخلي عن الشرعية كارثة أكبر.

سادت فترة من الصمت عند دخول بعض الخدم بملابسهم المهندمة لتقديم الشاي، بعد مغادرتهم بادر لامبسون في خبث وهو يلفظ دخان السيجار:

- سمو الأمير، هل لديك اقتراحات محددة في هذا الشأن؟.

بدا على الأمير كأنه أعد الإجابة سلفًا؛ فرد على الفور:

- يكمل تعليمه ويعود إلى إنجلترا، في هذه الحالة سوف تكون صلته بكم أعمق ويكون رجلكم الأمين سير مايلز.

كعادته تدخل أمين عثمان موضحًا كمن يفسر الماء بالماء:

- يأخذ وقته الطبيعي سيدي السفير، سبع سنوات على الأقل.

ابتسامة إنجليزية خالصة ظهرت على ملامح لامبسون، واتجهت نظراته مباشرةً صوب الأمير:

- وتكون أنت الملك أثناء الوقت الطبيعي لتعليم الولد؟.

لأول مرة منذ الصباح يبتسم الأمير: «وهذا أيضًا أمر طبيعي سير مايلز.»

هز لامبسون رأسه الضخم، ثم أضاف بعد نفس من السيجار:

- أرجو أن تطمئن سمو الأمير؛ حكومة صاحبة الجلالة حريصة على أن ينال الولد ثقافة إنجليزية، وأيضًا سياسة إنجليزية.

تهللت أسارير الأمير محمد علي، نظر نحو أمين عثمان مستبشرًا، قبل أن يسمع كلمات لامبسون حين أردف:

- ولكني أعتقد أن الأمر لن يكون سهلًا؛ عندما تكون هناك فريسة يكثر الصيادون، وأحيانًا تفلت من الجميع!.

نظرا نحوه منتظرين منه توضيحًا لعبارته الأخيرة، لكنه أشار بكفه نحو المائدة قائلًا ببرود:

- اشربا الشاي قبل أن يبرد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«حكمة تمثال القرود الثلاثة: لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم. هذا ما يجب أن يكون عليه رجل الحاشية من بطانة الملوك؛ فأرجو أن تعي ذلك.»

بدد جرس الهاتف سحب الصمت التي كانت تلف الشقة في هذا الوقت المتأخر من الليل، سريعًا خلع أحمد حسنين عن وجهه النحيل قناع النوم، نهض من فراشه متعجلًا، غادر غرفة نومه متوجهًا إلى الصالة، لإيقاف الجرس المزعج خشية إيقاظ أبنائه الثلاثة. تأففت زوجته لطيفة ثم اعتدلت جالسة، والعبوس يكسو ملامحها الناعسة؛ لم تكن قد شبعت من وجوده بعد، لم يمضِ على عودته من سفرته الطويلة مع فاروق سوى ساعاتٍ قليلة!. عاد حسنين وعلامات الجدية تعلو وجهه الوسيم، تعرف جيدًا معناها.

غمغمت بحنق: «القصر..»

أومأ برأسه بعدما تظاهر بالابتسام، أخبرها بينما كان منهمكًا في ارتداء ملابسه، أن المتصل كان ياوران الملك يبلغه بسرعة الحضور، جبر خاطرها بكلمات مقتضبة، ثم انهمك في استكمال تأنقه؛ ذهنه كان مشغولًا، يخشى من تقلبات القصر والحاشية، ما زال يذكر ما جرى معه أيام الملك فؤاد!.

في تلك الأيام رغم كونه من أفراد الحاشية، الأمين الأول، لكنه حُرِم من رضا فؤاد وعطفه؛ بسبب محاولته الفاشلة في العودة من أوروبا على متن طائرة يقودها بمفرده، سقطت به، لكنه نجا بأعجوبة، رغم ذلك صمم على إعادة المحاولة من جديد. كانت روح المغامرة تسري في عروقه، صدرت إليه الأوامر بالعودة، إلا أنه مضى في محاولته الثانية التي باءت بالفشل مرة أخرى. غضب فؤاد من طيشه وجموحه؛ رفض مساعدته لتسديد ثمن الطائرة التي تحطمت، خصوصًا وأنه كان قد أمده بالمال لشراء الطائرة الأولى. بدأ في تجاهله منذ ذلك الحين، بل رفض مقابلته تمامًا، حتى صار أحمد حسنين مجرد خيال في القصر، لا تُسنَد إليه أية أعمال أو مهام، لا تُعرَض عليه ورقة واحدة ولا يفاتحه أحدٌ في شيء. تولدت لديه شكوكًا لها أسبابها بأن كبير الأمناء هو من كان يدفع بالكراهية والبغض بينه وبين فؤاد، يخشى زيادة حظوته لدى الملك، خصوصًا وأن علاقته بالأسرة المالكة كانت جيدة منذ رحلته الكبرى في الصحراء الغربية، والتي كانت سببًا في ذيوع اسمه في الشرق والغرب، كما كانت سببًا في تقريب فؤاد إياه ثم تعيينه سكرتيرًا للمفوضية المصرية بواشنطن، وهناك التقى لطيفة ابنة الأميرة شويكار، طليقة فؤاد، وتزوجها.

في طريقه لقصر القبة، رفض ذهنه التوقف عن التفكير حتى أثناء قيادته للسيارة، كان يشعر بأن الفرصة باتت مواتية لتحقيق طموحاته، التي ما زالت نيرانها تستعر داخل نفسه. فمنذ سنواتٍ بعيدة، لم يكن سوى مجرد طفل تربى في كنف أب خرج من رحاب الأزهر، كان أحد علمائه، مع تاريخ طويل لعائلته في خدمة الوطن؛ فجده هو أحمد مظهر البولاقي أحد آخر أدميرالات البحرية المصرية قبيل الاحتلال البريطاني. كان لتربيته ونشأته أثرٌ بالغ في تشكيل مسار حياته، كما كان لجديته في تحصيل العلم والمعرفة يدٌ في تكوين شخصيته، سواء بدخوله مدرسة الحقوق الخديوية أو انتقاله لاستكمال تعليمه بالخارج، حيث كان قد سافر إلى فرنسا قبل

الحرب العالمية للدراسة، لكنه لم يلبث سوى سنة واحدة انتقل بعدها إلى جامعة أكسفورد البريطانية الشهيرة، ليعود منها بخبرات كافية، أهلته للالتحاق بوزارة الداخلية. وأثناء هذه الفترة قام بمغامرته الكبرى التي كانت سببًا في تغيير مجرى حياته؛ دون خوف أو جزع وبحثًا عن المغامرة والمعرفة، شدَّ الشاب البالغ من العمر آنذاك ثلاثة وثلاثين عامًا الرحال للصحراء الغربية، على ظهر جمل وبملابس بدوية بسيطة، في محاولة لاستكشافها وتوثيقها في رحلة امتدت ثمانية أشهر متتالية، ليحقق كشفًا جغرافيًّا وإنسانيًّا غير مسبوق؛ فخلال مغامرته اكتشف واحات العوينات وأركنو حين سار بمحاذاة بحر الرمال الأعظم، كما اكتشف بعض النقوش التى تعود لآلاف السنوات على الصخور والجبال، والتي ظنَّها البدو من أعمال الجان، لتتوَّج رحلته بنجاح آخر أثبت فيه أن الحياة لم تولد فقط على ضفاف النيل. ترددت أصداء كشفه حول العالم؛ فنال البَكَوية المصرية، ثم القلادة الذهبية من الجمعية الجغرافية البريطانية بلندن، ليوثق في النهاية إنجازه بيده في كتاب (الواحات المفقودة). رغم ذلك بقيَ شغفه بأن يكون أول من يحلِّق بطائرته منفردًا من أوروبا إلى أفريقيا حلمًا صعب التحقيق.

حين وصل إلى القصر؛ أسرع رجال الحراسة بفتح البوابات الحديدية الضخمة أمام سيارته، ولاحظ أنه رغم تأخر الوقت فالنشاط كان يسري بوضوح في كل مكان، الحرس منتشرون والخدم يتحركون دون كلل أو ملل، تعجَّب أحمد حسنين من قدرة فاروق على بثِّ روح الحماسة في قصر كان قد أوشك على الجمود. اصطحبه خادمٌ إلى واحدة من القاعات الفخمة، المخصصة للمقابلات الخاصة، رغم هدوئه الشهير لكنه تعجَّب رافعًا حاجبيه حين وجد الياور عمر فتحي متواجدًا في القاعة!.

اتسعت ابتسامة عمر فتحي:

- يبدو أننا لن نحصل على راحة في هذا العهد الجديد.

اكتفى أحمد حسنين بابتسامة مجاملة، قبل أن يقول:

- اتصلوا بك أيضًا! تعرف السبب؟.

مطَّ عمر فتحي شفتيه دون إجابة، كان في حقيقة الأمر لا يعرف سببًا وراء هذا الاستدعاء، حتى زوجته لم تصدقه في البداية، لكنها استجابت له بعد أن أقسم بأن فرصته أصبحت كبيرة في الترقي، خصوصًا وأن الملك الجديد يُكِن له حبًّا وتقديرًا بعد رحلة الدراسة في لندن. فجأة، انفتح الباب ودخل فاروق بوجهه البشوش، الفرح باديًا عليه، وقبل أن يقدما له التحية أو حتى ينحنيا له؛ غادرهما بعدما أمرهما بالانتظار، أخبرهما أن الملكة نازلي تريد لقاءهما. تبادل الرجلان النظرات، داعب أحمد حسنين شاربه المنمق للحظات، بينما أشعل عمر فتحي سيجارة، أخذ ينفث فيها قلقه واضطرابه حتى دخل فاروق بصحبة أمه. كانت متأنقة بدرجة لا تتناسب مطلقًا مع حالة الحداد المفترضة، فستانها كان محتشمًا، لكنه نجح في إبراز مفاتنها ورشاقة جسدها، نهض الرجلان فور رؤيتهما للملك وأمه، ثم انحنيا في احترام وتوقير، نظر فاروق مبتسمًا لأمه قبل أن يقول:

- ماجيسته، هذان الاثنان من أخلص الناس كما قلت لك.

ابتسمت نازلي بهدوء، اقترب أحمد حسنين منها بأدب مُقدِّمًا نفسه على الطريقة الإنجليزية، قبَّل يدها الممدودة:

- أحمد حسنين يا مولاتي.

لمعت عيناها بعدما رمته بنظرة متفرِّسة، قبل أن يخرج صوتها مخالطًا لابتسامة رضا ظهرت على وجهها:

- سمعت عنك الكثير أحمد بك.

أومأ أحمد حسنين برأسه قبل أن يتنحى موسعًا المجال أمام عمر فتحي، الذي أدى التحية العسكرية لفاروق قبل أن يقول:

- يوزباشي عمر فتحي جلالتك، ياور جلالة الملك.

اتسعت ابتسامة فاروق، بينما هزت نازلي رأسها:

- حدثني فاروق عنك، أنا سعيدة ومطمئنة عليه بفضل إخلاصك.

جلست فوق أريكة وثيرة قبل أن تشير لهما بكفها، تسمح لهما بالجلوس، ثم رنت ببصرها نحو أحمد حسنين قبل أن تقول:

- طيار ومغامر! شهرتك تسبقك أحمد بك.

قبل أن يجيبها كان فاروق يقول:

- ولاعب شيش بارع!.

ابتسمت نازلي وهي تطيل النظر إلى وجه أحمد حسنين، خرج صوتها ناعمًا:

- أحمد بك، أريدك أن تحكي لي عن مغامراتك في الصحراء.

تلون وجه أحمد حسنين، نظر ناحية فاروق فوجده يبتسم مشجعًا، أطرق برأسه إلى الأرض قبل أن يرد بأدب:

- يشرفني جلالتك أن تتعطفي بقبول كتابي المتواضع، دونت فيه كل شيء.

اتسعت ابتسامة نازلي قبل أن تقول:

- أريد أن أسمعها منك شخصيًا.

أحنى أحمد حسنين رأسه:

- في خدمة جلالتك.

نزعت نازلي الابتسامة عن وجهها، صارت ملامحها فجأة تحمل كل معاني الجدية حين قالت:

- جلالة الملك يحتاج إلى نوعية خاصة من الرجال، خصوصًا في هذه الأيام الصعبة.

انتصب عمر فتحي واقفًا:

- في خدمة جلالة الملك.

نظرت نازلي إليه لفترة قبل أن تردف:

- الخصوم كُثر، السفير البريطاني والأمير محمد علي، مؤامرات ودسائس لا تنتهي؛ فاروق حدثني عنكما كثيرًا، لذا ستكون مهمتكما الدفاع عن العرش وحماية جلالة الملك.

تدخل فاروق في الحديث:

- ماجيسته، حضرتك نسيتي الحكومة وحزب الوفد!.

ابتسمت نازلي:

- الوفد سيشكل الحكومة الجديدة، النحاس رجل وطني، أنا أعرفه جيدًا.

صمتت لبرهة قبل أن تستطرد:

- ليس ذلك ما يقلقني، الشعب هو المهم الآن، لا أريد للمحبة الجارفة التي شاهدها الجميع أن تنتهي، أليس كذلك أحمد بك؟.

لمعت عينا أحمد حسنين قبل أن يجيب على الفور، وكأنه قد أعد إجابته مسبقًا:

- لا يجب على جلالة الملك أن يسافر خارج مصر، على الأقل الفترة القادمة.

صمت لبرهة قبل أن يطيل النظر في عيني نازلي:

- وفترة الوصاية يجب أن تنتهي في أسرع وقت، جلالتك.

تهللت أسارير نازلي وقالت بفرح:

- رائع أحمد بك، لست مغامرًا فحسب بل سياسي أيضًا!

بهدوئه المعتاد ابتسم أحمد حسنين قبل أن يقول:

- مولاتي، الناس تصدق ما تراه بعينها؛ لذا يجب أن يرى الجميع جلالة الملك في أفضل صورة دائمًا.

لمعت عينا نازلي حين خرج صوتها دافئًا:

- أحسنت أحمد بك.

سكتت للحظة قبل أن تقول، دون أن تركز بصرها على أي من الموجودين في القاعة:

- يوزباشي عمر فتحي، أنت متزوج؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استرخت نازلي على أريكة من القطيفة الحمراء، داخل غرفة نومها في جناحها الملكي، وأفكار كثيرة تتصارع داخل عقلها، الخوف على عرش ابنها كان يقلق منامها، وحزنها على شبابها الذي ضيعه فؤاد كان يحرق ليالي وحدتها في فراشها؛ الحرمان العاطفي الذي عانت منه طيلة سبعة عشر عامًا لم يكن هيِّنًا على نفسها. انتصبت واقفة ثم تحركت نحو المرآة الكبيرة، التي تتوسط الحائط المقابل لفراشها، تأملت وجهها لفترة قبل أن تلفت نظرها تلك الشعيرات البيضاء التي بدأت في غزو مقدمة رأسها، ذكَّرتها بتلك الليالي الباردة التي كثيرًا ما كانت تبيتها باكية، تتذكر حبها الذي ضيعه تسلط فؤاد وأنانيته، حقًّا حاولت الهرب والزواج من سعيد زغلول، لكنها لم تتمكن من تحدي إرادة سلطان البلاد؛ في النهاية أخضعتها المشيئة السلطانية للزواج من فؤاد، رجل يكبرها بنحو عشرين عامًا. كان متسلطًا جبارًا، شديد الغيرة، يمنعها من الظهور ويفرض عليها رقابة صارمة عبر جواسيسه داخل القصر. ابتسمت عندما تذكَّرت أن أول ما فعلته بعد وفاته ـغير مأسوفٍ عليهـ أنها تخلصت من عقاربه وثعابينه: إدريس الشماشرجي، نايلور المربية، مدام قطاوي، الخازندارة سردنور، فيرتوش الطلياني مسئول توريد الحريم للقصر. كم كانت سعادتها عندما أمرت الحرس بالقبض عليهم جميعًا وطردهم خارج القصر. كادت تبكي حينما تذكرت المرات الكثيرة التي تعرضت فيها للنهر، بل وللضرب على يد فؤاد بسبب وشايات هؤلاء الرعاع.

انتبهت على صوت طرقات مهذبة على باب الغرفة، أعقبه صوت نسائي يحييها بأدب واحترام، ارتسمت على وجهها ابتسامة صافية حين وقعت عيناها على زينب هانم ذو الفقار صديقتها ووصيفتها، وسرعان ما قالت بنبرة ودودة:

- زينب هانم، لمَ تأخرتِ؟

كانت قد طلبت من وصيفتها أن ترافقها، هي وابنتها صافيناز، في الرحلة البحرية الشتوية للعائلة المالكة إلى سويسرا. كانت تفكر في ضرورة تزويج فاروق مبكرًا؛ ملك مصر والسودان لابد أن يُكمل نصف دينه، لابد أن يكون في أفضل صورة كما قال أحمد حسنين. لم تجد أفضل من ابنة وصيفتها كزوجة ترشحها للجلوس إلى جوار ابنها على عرش مصر؛ صافيناز هي كريمة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا وكيل محكمة الاستئناف المختلطة، وحفيدة علي ذو الفقار باشا محافظ القاهرة، وأمها كريمة محمد سعيد باشا الذى ترأس الوزارة المصرية عدة مرات، كما اشترك في وزارة الشعب ـوزارة سعد زغلول باشاـ بعد أول انتخابات عامة تشهدها البلاد، وكان أحد السياسيين البارعين المشهود لهم بالحنكة والذكاء والدَّهاء. صافيناز أصغر من فاروق بحوالي سنة وسبعة شهور، تتقن الفرنسية، لها عدة هوايات منها عزف البيانو، وكانت بارعة جدًا فيه، كما كانت تجيد الرسم، وكان معروفًا عنها البساطة والوقار والحشمة في ثيابها وزينتها، كما كانت فتاة ذات طابع هادئ وخجول وكان لها اسم تدليل تحبه نازلي هو «فافيت».

دخل فاروق دون سابق إنذار؛ فتبادلت المرأتان النظرات والابتسام، ثم انسحبت زينب هانم بعدما انحنت للملك الصغير. اقترب فاروق من أمه ثم قبل خدها، أمسكت بيده ثم أجلسته إلى جوارها على الفراش، مسحت بكفها على رأسه:

- رغم كل ما قاسيت في هذا القصر، لكن الآن ذهب كل حزني وألمي.

لمعت نظرة حانية في عيني فاروق قبل أن يقول:

- ماجيسته، أنا عارف شدة أبي.

تنهدت نازلي قبل أن تقول:

- لا تجوز عليه إلا الرحمة، المهم، الآن أريدك أن تكون حريصًا، الجميع يراك صغيرًا ولا تستحق العرش.

عقد فاروق حاجبيه:

- الشعب يحبني ماجيسته!.

هزت نازلي رأسها ثم قالت:

- أنا أقصد الوزراء والسياسيون والسفير البريطاني، لا تسمح لأحد أبدًا أن يقلل من شأنك، أنت الآن الملك.

ارتسمت الحيرة على ملامح فاروق البريئة:

- لكن مجلس الوصاية..

قاطعته نازلي بحسم:

- مجلس الوصاية وهذا البهلوان محمد علي عمرهم قصير، لا تقلق منهم.

صمتت للحظة ثم أردفت:

- ما يقلقني هو السفير، مايلز ثعبان مغرور، يسميك الولد الصغير، يجب أن تكون حذرًا في التعامل معه.

زادت الحيرة على وجهه البريء:

- وما العمل ماجيسته؟

لمعت عينا نازلي:

- الشعب والولاء يا فاروق، حب الشعب سيحميك، ولاء المحيطين بك سوف يبقيك على العرش رغمًا عن الجميع.

تردد فاروق لبرهة قبل أن يقول:

- لكن أبي كانت سياسته..

قاطعته نازلي مجددًا:

- أبوك كان لا يسمع إلا نفسه والمندوب السامي، لم يكن أحد يحبه، حتى أنا.

مسحت بكفها على شعره قبل أن تكمل:

- أنت ستكون ملك جديد وعصر جديد، فاروق الأول ملك مصر والسودان.

بدت على ملامح فاروق علامات النشوة من كلمات أمه، وظهرت ابتسامة عريضة على وجهه، بينما أكملت نازلي حديثَها كأنها تكلم نفسها:

- قضيت سبعة عشر عامًا حبيسة هذه الجدران الباردة، لكن الآن، أنت يا فاروق، أنت من ستجعلني أحلق في السماء.

ارتمى فاروق في حضنها قائلًا:

- اعتبريه أمرًا ملكيًا ماجيسته.

اقتربت إحدى الوصيفات من نازلي قائلة بصوت خفيض:

- مولاتي، أحمد حسنين بك يطلب الإذن في لقاء جلالة الملك.

عدلت نازلي من هيئتها، قبل أن تقول:

- دعيه يدخل.

لحظات وظهر أحمد حسنين عابرًا باب الغرفة، توقف للحظات عندما رأى نازلي بملابس نومها المكشوفة، لكنها أشارت له بالاقتراب، دنا منهما ونظراته لا ترتفع عن الأرض، ثم قال بهدوء:

- أخبار سارة يا مولاي، فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة المفتي ولجنة من أفاضل المشايخ أقرت فتوى لجنة قضايا الحكومة بأن يحسب عمر جلالتك حسب التقويم الهجري.

نظر فاروق إلى نازلي متسائلًا:

- وما الفارق؟

لمعت عينا نازلي قبل أن تومىء برأسها لأحمد حسنين:

- الفارق كبير.

ابتسم أحمد حسنين قبل أن يقول شارحًا:

- طبعًا جلالتك، السنة الهجرية أقصر من الميلادية؛ الآن يتبقى لمولاي سنة وثلاثة أشهر فقط ثم يحكم دون مجلس الوصاية.

ضحك فاروق قائلًا:

- عظيم جدًا.

اتسعت ابتسامة حسنين ـبينما كان يلاحظ نظرات نازلي المتفرسة في وجههـ حين قال:

- هناك أيضًا فتوى ثانية عظيمة الشأن، من الآن يا مولاي تستطيع التصرف في أموالك وكافة أملاكك وكل الأوقاف؛ جلالتك تخطيت الخامسة عشر عامًا.

اتكأت نازلي بذراعها على الفراش ثم قالت:

- ممتاز أحمد بك، أخبار عظيمة، لذا سترافقنا في رحلة سويسرا.

عقد أحمد حسنين حاجبيه ثم قال بدهشة:

- ولكن يا مولاتي ألم نتفق ألا يسافر جلالته هذه الفترة الحرجة!.

ابتسمت نازلي قبل أن تقول:

- لا تقلق، جلالته عيَّن علي ماهر رئيسًا للديوان، وهو سيهتم بكل شيء.

صمتت لبرهة ثم داعبت خصلة من شعرها وقالت بنبرة ذات مغزى:

- وأنت مكانك مع جلالة الملك، نحتاجك بالقرب منا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توافد الناس إلى مسجد الرفاعي بالقرب من القلعة لأداء صلاة الجمعة، كل شيء يبدو عاديًا، عددٌ قليل من رجال البوليس منتشرون بالقرب من بوابة المسجد كعادتهم. من بعيد بدا صوت سنابك الخيل يدب بلاط الشارع، لوى البعض رقابهم حينما لفت انتباهم الصوت الذي بدأ يعلو بصورة لافتة، وتسمَّر الجميع في أماكنهم، انتفض رجال البوليس وانتصبت وقفتهم عندما شاهدوا فرسان الحرس الملكي يتقدمون الموكب، من خلفهم العربة الملكية تجرها الخيول الأصيلة.

توقفت العربة الملكية أمام بوابة المسجد، نزل منها عمر فتحي أولًا، تلفَّت يمينًا ويسارًا عدة مرات ثم أومأ برأسه، لحظات ثم ظهر فاروق ومن خلفه أحمد حسنين. تهللت الوجوه وتعالت الهتافات لفاروق، الذي اكتفى برفع يده عدة مرات بعدما أحنى رأسه في تواضع، ثم تحرك ناحية مدخل المسجد، والناس لا تصدق ما تراه؛ الملك الشاب بنفسه وسط العامة دون حراسات أو تدابير. انبرى بعض مسئولي الأوقاف يفرشون البُسُط أمام فاروق، لكنه نهرهم بصوتٍ مسموع:

- في بيوت الله كلنا سواسية.

علت هتافات المصلين في مدخل المسجد:

- عاش الملك الصالح، عاش فاروق الأول.

انتهت الصلاة بعد خطبة عصماء ألقاها الشيخ المراغي عن عدل الملك مع رعيته، وفاروق يشعر بسعادة لم يختبر مثلها من قبل. وقبل أن يغادر كان الناس قد تجمعوا حوله، بعضهم يحاولون تقبيل يده، لكنه كان يسحبها سريعًا مستغفرًا، وقبل أن ينصرف في عربته الملكية التفت مخاطبًا مسئول الأوقاف:

- أمرنا بتجديد وفرش كل الجوامع، على نفقتي الخاصة.

علت الهتافات والدعوات بطول العمر والتوفيق للملك الصالح، كما أطلق عليه الناس في هذا اليوم. وقبل أن يغادر الموكب الملكي تظاهرة الحب الفياض مال عمر فتحي على أذن أحمد حسنين:

- فكرة ممتازة أحمد بك.

بكل هدوء، ابتسم أحمد حسنين قبل أن يرد:

- على بركة الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الشمس قد مالت ناحية الغرب، نسمة لطيفة سرت في الأجواء عندما تحرك الخدم بطرابيشهم القصيرة، وقفاطينهم الحمراء الأنيقة الموشاة بخيوط مذهبة، يقدمون المشروبات في حديقة القصر. جلس فاروق مستعدًا للِّقاء المنتظر، من خلفه وقف عمر فتحي، على يمينه جلس أحمد حسنين بجوار نازلي التي كانت عيناها لا تفارقه. منذ حوالي الساعة، كان الأمير محمد علي قد أخبر أحمد حسنين أنه سيحضر للقاء الملك؛ سيعرفه بمعلمه الجديد الذي رشحه السفير البريطاني ـشاب إنجليزيـ لتدريس فاروق آداب اللغة الإنجليزية ولتدريبه على بعض الألعاب الرياضية أو ليكون رفيقًا له. لم يرحب فاروق بالفكرة، لكنه رضخ لها بعد إقناع حسنين له بمسايرة الإنجليز في هذه الفترة، وضرورة عدم خلق عداوات لا لزوم لها. كانت الأفكار قد طُرحت داخل القصر حول كيفية استكمال فاروق لدراسته، ومن ضمنها دخوله المدرسة الحربية المصرية ولو لبضعة شهور يمكن خلالها ترتيب برنامج مكثف؛ يستوعب من خلاله المواد الأساسية، ويفيد أيضًا في تعرفه إلى الضباط الشبان الذين سيتولون قيادة الجيش في المستقبل، فضلًا عن أن وجوده وسط أبناء الشعب سيزيد من تقربه منهم ومن حبهم له. لكن هذا الاقتراح لم يجد قبولًا لدى حسنين؛ لاعتقاده أن نازلي لن توافق عليه على الإطلاق، لأنها حريصة على قرب ابنها منها بعد افتراقها عنه زمنًا طويلًا. كانت منذ صغره لا تراه إلا في الأوقات التي تحددها مربيته الإنجليزية، عملًا بأوامر فؤاد الذي كان يحذر أن ينشأ ولي عهده على التدليل من جانب أمه، في حين أنه كان يحرص على أن ينشأ في جوٍّ خالٍ من مظاهر التدليل، حتى أنه كان ينهَى القائمين على تربيته عن مخاطبته بلقب الإمارة وأن ينادوه باسمه مجردًا من اللقب.

وضع فاروق كأس العصير على المنضدة بجواره بينما كان يتأمل ملامح الأمير محمد علي، الذي كان يحث الخُطا نحو مجلسهم، ومن خلفه شاب إنجليزي له ملامح باردة يبدو في حوالي الخامسة والعشرين من عمره. فور وصولهما تقدم الشاب مادًا يده لفاروق مع انحناءة ظاهرة، مد فاروق يده دون أن يقف قبل أن يقول بالإنجليزية مبادرًا:

- يسعدنا قدومك.

تدخَّل الأمير محمد علي في الحديث على الفور:

- مستر فورد، اختارته الخارجية البريطانية بعناية شديدة ليكون مدرس جلالتك الخاص.

صمت للحظة ونظراته تتفحص نازلي وحسنين، ثم أكمل كأنه يحسن من بضاعته المعروضة:

- مستر فورد لديه إلمام بكل الأمور، ومستعد لمشاركة مولانا في الألعاب التي يحبها إلى جانب الدروس العلمية بالطبع.

نظرت نازلي ناحية الشاب الإنجليزي في لا مبالاة، ثم حولت نظراتها مجددًا صوب أحمد حسنين، وتطلع فاروق لفترة إلى فورد قبل أن يقول بنبرة هادئة:

- مستر فورد مرحبًا بك، كل احتياجاتك وطلباتك ستكون مع حسنين بك، مُعلمي الأول.

خطا فورد تجاه حسنين مصافحًا، انبرى الأمير محمد علي متقمصًا دور الوصي:

- حسنين بك، من هذه اللحظة أنت مسئول عن إعداد برنامج تعليم جلالة الملك، تعرضه علينا فورًا للموافقة والبدء في تنفيذه.

لم تتمالك نازلي نفسها؛ خرج صوتها حادًا:

- عن أي برنامج تتحدث سمو الأمير!.

تنحنح محمد علي في حرج قبل أن يقول:

- البرنامج الخاص بـ..

قاطعته نازلي بحسم:

- لن ننفذ إلا البرنامج الذي أعدَّه فؤاد.

رفع محمد علي حاجبيه متسائلًا:

- هل أعد المرحوم برنامجًا لجلالة الملك!.

رمته نازلي بنظرة متحدية:

- طبعًا، الله يرحمه أعدَّ لكل شيء.

زفر محمد علي في ضيق، لكنه تمالك نفسه قدر استطاعته، وإن زاد احمرار وجهه:

- بصفتي رئيس مجلس الوصاية؛ هل أطمع في معرفة تفاصيل هذا البرنامج.

خرج صوت نازلي ساخرًا:

- أكيد سمو الأمير، حسنين بك سيرسل لك نسخة منه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رن صوت قرع كأسي الكونياك في غرفة مكتب لامبسون، علت وجهه ابتسامة عريضة بينما كان يهنىء فورد باستلام عمله الجديد كمعلم لفاروق، لكن الشاب أخبره أن الأمور قد لا تسير كما تريد الخارجية البريطانية، خصوصًا بعد لقائه مع حسنين الذي عبَّر عن عدم ارتياح فاروق لوجود فورد قبل أن يقول بنبرة تحمل الكثير من الدلالات: «مستر فورد أعلم أنك ذكي بما فيه الكفاية، وأن اختيارك لهذه المهمة تم بعناية شديدة، وهنا أسألك، هل تعتقد أن أي ملك يمكن أن يتحول إلى تلميذ؟! عندما يصبح الملك ملكًا فإنه لا يتعلم من أحد لا أكبر منه ولا أصغر؛ الملك يتعلم من نفسه. ولكن دعني أرتب لك بعض الوقت مع جلالته..»

قهقه لامبسون قبل أن يقول:

- هذا الحسنين داهية بحق!.

انتبه لتبدل سحنة فورد فقال بنبرة أبوية:

- تبدو غير مسرور يا عزيزي فورد.

قال فورد على الفور، وكأنه كان ينتظر هذا الحديث:

- على المستوى الشخصي أنا سعيد جدًا بهذه الرحلة الرائعة، بصراحة لم تكن تتاح لي لولا هذه الوظيفة الشكلية.

عقد لامبسون حاجبيه:

- وظيفة شكلية؟!.

أجاب فورد بصورة قاطعة:

- نعم سيدي السفير، كما أخبرتك من قبل الملك مهتم باللهو فقط، يتبع الملكة الأم والحاشية، مبهورٌ بالاستقبالات الشعبية التي يتم ترتيبها له.

تناول لامبسون رشفة من كأسه قبل أن يسأل:

- هل هو قابل للترويض؟.

رفع فورد كتفيه:

- لديه عناد أنصاف المتعلمين.

زفر لامبسون بضيق:

- لست متفائلًا بهذا الولد، لكن علينا أن ننتظر ونرى، ربما تكون فرصتك معه في أوروبا أفضل. ورأيك في الملكة الأم؟.

مط فورد شفتيه قبل أن يجيب ببرود:

- في حالة عطش شديد وشبق، في ظني تبحث عن عشيق.

لمعت عينا لامبسون:

- أتمنى أن يكون هذا العشيق من رجالنا في القصر؛ فالرجل الذي سيروي عطشها ربما يكون هو الملك الحقيقي لفترة غير قصيرة.

أومأ فورد برأسه:

- أتفق معك سيدي السفير؛ فالملكة الآن صاحبة الكلمة الأولى.

شرد لامبسون ببصره قبل أن يفرغ كأسه في جوفه ثم يقول:

- وستكون صاحبة الكلمة عندما يجلس على العرش رسميًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«يبعث الله كل مائة عام رجلًا يُصلح هذه الأمة ويُوَحِّد صفوفها..وفاروق الأول هو رجل المائة عام المقبلة..»

كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق منذ عدة أيام لحفل تنصيب ملك مصر الشاب؛ فاروق بلغ الثامنة عشر عامًا هجريًا، أصبح يحق له أن يحكم منفردًا دون مجلس وصاية. منذ الصباح والحركة لم تتوقف في القصر، نازلي كانت رغم سعادتها قلقة، لم تتوقف عن إصدار تعليماتها للجميع، الخدم والشماشرجية، المشايخ التي أحضرتهم منذ الفجر لرقية فاروق خوفًا من الحسد، تتابع كل شيء بنفسها، حتى أسراب الحمام الأبيض التي سترفرف في سماء القاهرة فور انتهاء فاروق من حَلفِ اليمين الدستورية أمام البرلمان.

جلس فاروق في العربة الملكية التي تجرها ثمانية خيول، يحيط بها فرسان الحرس الملكي، كان مرتديًا زيه العسكري، بدلة المشير، متقلدًا سيفًا وتزين صدره قلادة جده الأكبر محمد علي باشا، وإلى جواره جلس مصطفى النحاس بزي التشريفة الرسمي، وقد تقلد هو الآخر سيفًا. دوَّت طلقات المدافع في سماء القاهرة إيذانًا بتحرك الموكب الملكي من قصر عابدين إلى البرلمان، وفي الوقت ذاته حلَّقت فوق الرؤوس طائرات سلاح الجو الملكي.

توافدت الجموع في شكل منظم على الميادين والشوارع، ازدحمت شرفات المنازل الواقعة على جانبي الطريق وأسطحها بالرجال والسيدات والأطفال، كان أصحاب البيوت والمحال الواقعة في طريق الموكب يعانون الضغط الشديد من أقاربهم وأصدقائهم، وتربَّح البعض من تأجير الشرفات والمنازل بأجور مرتفعة. لم يكن أحد يعلم ما دار قبل عدة أيام، حين فوجيء الجميع برفض فاروق تتويجه داخل البرلمان وإلقاء القسم أمام النواب.

كانت المعلومات قد وصلت إلى النحاس بأن فاروق يريد أن يكون تتويجه داخل القلعة، ويبايعه الناس كخليفة للمسلمين، ويتسلم التاج من شيخ الأزهر ويحمل سيف جده محمد علي باشا، ثم يتلو المشايخ الدعاء الخاص بالخلفاء له، وتكون تلك المراسم في يوم الخميس، حتى يصلي فاروق في اليوم التالي إمامًا بالمسلمين في الجامع الأزهر، بعد أن يلقي خطبة الجمعة الشيخ المراغي، وما أثار حفيظة النحاس يومها هو تأييد الصحف لهذا المقترح. أبلغه مكرم عبيد بأن علي ماهر والشيخ

المراغي هما من يقفان وراء هذا الاقتراح العجيب، وأن علي ماهر استعان بحسن البنا، مرشد جماعة الإخوان المسلمين، وأحمد حسين، رئيس حزب مصر الفتاة، حيث طلب منهما أن يساندا فاروق ويؤيدا البيعة الإسلامية. كما أعلن نقيب الأشراف أن فاروق ينتهي نسبه إلى آل البيت من جهة الأم، لأنه معروف بأصوله الألبانية.

لم يكن أمام النحاس سوى اللجوء لنازلي ـففاروق كان كتابًا مغلقًا بالنسبة له لا يعرف طريقة للتعامل معه بعدـ التي لم تخذله، فحدثت ابنها راوية له أن فكرة الخلافة عرضت على والده فؤاد بعد سقوطها في إسطنبول، لكنه رفضها. أكدت لفاروق على وطنية النحاس وطالبته بضرورة الاستماع له؛ لذا قبل فاروق مقابلة النحاس الذي تحدث عن ضرورة استقرار العلاقة بين الحكومة والقصر الملكي، وطالب فاروق بالحفاظ على ذلك الوضع لإتمام مفاوضات الجلاء مع الإنجليز، ثم نقل حديثه عن الأفاقين السياسيين وفتاوى الشيخ المراغي المؤيدة للاحتلال. ونتيجة لهذا اللقاء؛ تراجع فاروق عن فكرة الخلافة، وتوجه إلى نواب الشعب.

تعالت الهتافات ورفرفت الأعلام الخضراء فور وصول العربة الملكية إلى البرلمان، حيث نواب الأمة والوزراء وشيخ الأزهر وبَطرِيَرْك الكنيسة القبطية وحاخام الطائفة الإسرائيلية والسير لامبسون المندوب السامى البريطانى، ومن أعلى حيث شرفات الطابق الثانى جلست الملكة نازلى والأميرات، وجلس الجميع في انتظار فاروق.

«مولانا المعظم، جلالة الملك فاروق الأول..»

أعلن سعيد ذو الفقار باشا دخول فاروق إلى القاعة، جلس على العرش وفي يده صولجان الملك، على يمينه وقف أوصياء العرش، شريف صبرى وعزيز عزت، لم يحضر الأمير محمد على، وعلى يساره وقف مصطفى النحاس والوزراء. وقبل بدء مراسم التتويج، ألقى النحاس خطابًا قصيرًا، ثم نهض فاروق لنطق القسم، رمى بصره ناحية الطابق الثاني، سرت الطمأنينة في نفسه حين رأى ابتسامة نازلي المشجعة، استجمع كل شجاعته حين خرج صوته واثقًا:

«أحلف بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الأمة المصرية وأحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ عاد أحمد حسنين لمنزله، بعد انتهاء مراسم التتويج، كان يعلم أن النار مشبوبة والألغام مُهيأة للانفجار؛ زوجته فى ثورة عاصفة مجنونة ضد نازلى، وكل من يمت إليها بصلة أو بسبب، حتى فاروق نفسه. ففور عودته من رحلة أوروبا سلمه أحد معاونيه منشورات تسخر من نازلي، تصفها بالنزق، ثم سمع من بعض أصدقائه وبعض رجال القصر أن زوجته تتهم نازلي بأنها على علاقة مشينة معه، تطعن في سلوكها وتروي عنها القصص والحكايات، ومنها قصة زواجها بالملك فؤاد، وكيف

هربت، وكيف ضبطوها، والشائعات التي أحاطت بالزواج المذكور، ثم الشائعات التي انتشرت بعد مولد فاروق، وأنه مغفل مثل أبيه فؤاد!.

سمع حسنين بهذا، ثم سمع بما هو أدهى وأخطر، أن زوجته هي المسئولة عن تلك المنشورات المسيئة لنازلي؛ حيث سعت للحصول على أزجال بيرم التونسي الممنوعة، وطبعت آلاف النسخ منها، عملت على توزيعها يوم عودة فاروق ونازلي من أوروبا. تلك الأزجال التي كتبها بيرم التونسي ساخرًا من فؤاد ونازلي وقت ثورة ١٩١٩ ورددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة آنذاك، وبسببها عوقب بيرم بالنفي خارج البلاد.

«مرمر يا زمان يا زماني مرمر.. والست ماشية من زمان تتمختر

الوزة من قبل الفرح مدبوحة.. ولما جت تتجوز المفضوحة»

التفت حسنين خلفه على الفور حين سمع صوت لطيفة تردد الأزجال الممنوعة بصوت مرتفع، كانت تقف مستندة على الباب بيمينها بينما كانت يسراها تضغط على خصرها، وابتسامة شامتة تعلو وجهها الشاحب. تنهد حسنين في ضيق، وتظاهر بالانشغال في اختيار ثياب تناسب احتفالية التتويج في القصر الملكي بعد ساعات قليلة، إلا أن لطيفة لم تمهله:

- لا أصدق نفسي، أنت ونازلي!.

تجاهل حسنين نظراتها المثبتة على عينيه، وقال على الفور:

- إشاعات يا لطيفة، أنتِ أعقل من تصديق هذا الكلام الفارغ.

ضحكة بائسة صدرت عنها قبل أن تقول:

- لم تجد إلا نازلي! كم كنت مغفلة، لكنك تستحقها.

- عيب يا لطيفة! اخفضي صوتك، الأولاد!

انتزع بدلته الرسمية من الدولاب بعنف، وقرر إنهاء هذا الحوار العبثي، واستكمال هندامه في مكتبه بالقصر. قبل أن يغادر المنزل، جاءه صوت لطيفة حين قالت صارخة:

- مبروك عليك القصر أحمد بك، وهنيئًا لك المفضوحة.

طوال الطريق إلى القصر والأفكار تصطخب في رأسه، لم يشعر بقدمه وهي تضغط بقوة على دواسة البنزين، صب نيران غضبه على رحلة أوروبا؛ فكل شيء بدأ في تلك الرحلة الملعونة.كان الرأي قد استقر على القيام بالرحلة الملكية الشتوية لأوروبا على متن إحدى البواخر الإنجليزية الكبرى المسافرة إلى مرسيليا ومنها إلى سويسرا لزيارة معالمها الكبرى في سان مورتيز، ثم جنيف وبرن وزيوريخ على أن يكون السفر منها إلى إنجلترا رأسًا، ثم تكون العودة عن طريق فرنسا لزيارة باريس وفيشي لملاءمة مياهها المعدنية لصحة نازلي. ورغم كونه طيارًا بارعًا وسائقًا ماهرًا، إلا أنه كان لا يقوى على احتمال دوار البحر، يشعر به منذ أن

تطأ قدماه ظهر الباخرة ولو كانت ما تزال راسية في الميناء؛ لذا فقد بقي راقدًا في قمرته ليومين متتاليَيْن إلى أن يعتاد جسده حركة الباخرة. وفي ليلة كان البحر فيها هادئًا، وجد في نفسه القدرة على الخروج، أخذ يتجول بين ممرات الباخرة ومماشيها على سبيل التريُّض، ساقه القدر إلى الممر الواقع فيه قمرة البكباشي عمر فتحي، وليته ما فعل!.

فوجيء بنازلي تتسلل خلسة، بملابس النوم، إلى داخل قمرة عمر فتحي. تسمَّر حسنين في وقفته للحظات، ثم ساقته قدماه إلى حيث باب القمرة، تلفَّت حوله عدة مرات للتأكد من خلو المكان، ثم أسند رأسه على الباب يتنصت، كانت الأصوات التي ترامت لسمعه لا تدع مجالًا لأي شك فيما يحدث بين نازلي وعمر فتحي. اشتعل الغضب في نفسه، حتى كاد يفتح الباب ويفسد خلوتهما، لكن عقله انتصر في النهاية، رغم التساؤلات التي لم يجد لها إجابة: كيف لا تنتبه نازلي إلى واجبات المحافظة على اسمها وكرامتها كملكة، أرملة ملك وأم لملك شاب لم يتولَّ سلطاته بعد تتطلع إليه أنظار شعبه بل أنظار العالم أجمع؟ ومن جهة أخرى، كيف لا ينتبه عمر فتحي قبل كل شيء إلى أنه زوج، وأنه ياور الملك!. حين شعر بحركة داخل القمرة، توارى عن الأنظار في ممر قريب؛ شاهد نازلي تغادر القمرة، بينما كانت تلملم روبها الحريري فوق قميصها المكشوف. في صباح اليوم التالي، اقتحم حسنين قمرة الياور الشاب الذي كان في حالة استرخاء فوق فراشه؛ انتفض فتحي حين شاهد الغضب باديًا على ملامح حسنين الذي قال:

- تبدو مرهقًا؟.

ابتسامة باهتة حاول بها فتحي مداراة ارتباكه قبل أن يقول:

- الرحلة شاقة كما تعرف، والأمور..

قاطعه حسنين:

- والملكة؟!

تسمر عمر فتحي في جلسته، ولم يرد؛ فتساءل حسنين ونظراته الحادة مثبتة على وجه الياور الشاب:

- لك أطماع في العرش؟.

امتقع وجه فتحي، رفع كفه أمام وجهه قبل أن يقول:

- أنا خادم مولانا الملك.

رمقه حسنين لفترة قبل أن يقول:

- من يعاشر الملكة لن يكون أمامه إلا أحد خيارين، إما أن يكون ملكًا..

صمت للحظات ثم أضاف ببرود:

- وإما أن يُقتل.

تكونت حبات من العرق على جبهة عمر فتحي، ولم يقدر على النطق بحرف واحد؛ فأضاف حسنين:

- سأعتبره واجبًا لم تستطع التملص منه، أمرًا ملكيًا لا يمكن رفضه.

صمت قليلًا ثم أضاف بحسم:

- لكنه لن يتكرر.

أطرق عمر فتحي برأسه إلى الأرض مستسلمًا:

- ماذا أفعل؟ لن تتركني.

قال حسنين بحزم قبل أن يستدير مغادرًا:

- يمكنك ادِّعاء المرض حضرة البكباشي.

بالفعل استجاب فتحي لتهديدات حسنين، وبدأ في ادِّعاء المرض، كان حريصًا بعدها على ملازمة فاروق، لا يفارقه لحظة واحدة، ربما لو كان حسنين يعلم ما سيحدث بعدها لم يكن نصحه تلك النصيحة؛ فبعد عدة محاولات فاشلة يئست نازلي منه، بدأت في تركيز جهدها على أحمد حسنين، في كل مناسبة كانت تجده بالقرب منها كانت تتعمد ملامسته دون سبب، حاولت الدخول لقمرته أكثر من مرة، لكنه تظاهر بالدوار، حتى أنه اضطر للتقيؤ ربما تتركه. وبدا أن الأمور ستعود لنصابها الطبيعي، حتى وصلوا إلى سان مورتيز، هناك فوجيء حسنين بجناح إقامته بين جناحي نازلي وفاروق، وعندما بدرت منه أولى علامات الاعتراض، تم إبلاغه أنها تعليمات فاروق بنفسه. كانت أيامًا بالغة الصعوبة على حسنين، فبعد انتهاء يوم عمله الطويل الشاق كان يضطر للسهر حتى ساعة متأخرة منتظرًا أن تخلد نازلي للنوم، ثم يستيقظ مبكرًا لمباشرة أعماله اليومية. وهكذا مضت ثلاثة أيام، وبدا أن مخططه قد نجح، كان يظن أن الوقت كفيل بجعلها تتوقف عن مراهقتها المتأخرة، كما حدث مع فتحي، حتى كانت تلك الليلة التي تغيرت معها حياته.

في هذه الليلة كان قد عاد لجناحه بعدما تجاوزت الساعة منتصف الليل، تأكد من أن الهدوء مسيطر على الطابق الذي يقطنون به، رغم ذلك توخى أقصى درجات الحذر بينما كان يخطو بقدميه في اتجاه جناحه؛ بدا كأنه يتسلل لمكان لا يخصه. تأكد من إغلاق الباب وراءه، ثم شرع في تبديل ملابسه، لكنه انتفض في مكانه حين سمع صوتها تقول بميوعة:

- أحمد بك، أنا مريضة.

التفت ناحيتها وقد شلت المفاجأة تفكيره؛ كيف دخلت لجناحه! تمالك نفسه سريعًا وقال بنبرة رسمية:

- مولاتي، اسمحي لي باستدعاء الطبيب.

تأوهت بميوعة بينما كانت تشير إلى صدرها البارز أسفل قميصها الوردي المكشوف:

- ألم فظيع أحمد بك؛ لا أستطيع النوم.

ابتلع حسنين ريقه، وعقله يعمل بسرعة فائقة لمحاولة إيجاد مخرج من هذا المأزق، قبل أن يقول:

- ألف سلامة مولاتي.

اقتربت نازلي بخطوات بطيئة، وكفها تتحرك فوق رقبتها وصدرها، خرجت الكلمات من بين شفتيها كأنها تهمس:

- أعرف أن لديك دوائي.

تراجع حسنين خطوتين للوراء، ولم يرد، كان يحاول الوصول للباب، لكنها واصلت اقترابها حتى واجهته، صارت تشكل حائلًا بينه وبين الخروج من الجناح، كان يشعر بحرارة جسدها حين اقتربت من أذنه هامسة:

- اعتبرني مجرد امرأة تبحث عن دوائها عندك.

اتسعت عينا حسنين، وسرت القشعريرة في جسده عندما وضعت يدها على رقبته، ثم أخذت تمسح بها على صدره قبل أن تقول:

- الملكة يا أحمد بك هي التي تجد من يشعرها بأنوثتها، وأنا أعرف أنك تستطيع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تلونت حديقة القصر الملكي ببهجة لم تشهدها منذ سنوات بعيدة، الأضواء والزينات والأعلام في كل مكان، وفاروق يتنقل بخفة ورشاقة بين الموائد المختلفة لتحية المدعوين، السعادة بادية على وجهه بما تم على يده من تغيير في تقاليد القصر، تملؤه الآمال العريضة من تحقيق طموحات وإنجازات تعادل بل وتفوق هذا الحب الجارف الذي منحه له الشعب، والحق فإنه شهد في هذا الحفل لـمُعلمه حسنين بالكفاءة وحسن التقدير؛ فهو من اقترح ألا يمر تتويجه مرور الكرام، بل وأصر على أن تكون حفلات توليته عيدًا ومهرجانًا متواصلًا لم ترَ البلاد له مثيلًا من قبل. وهو ما حدث بالفعل؛ لم يسبق أن زخرت العاصمة بمثل ما احتشد فيها من جموع الوافدين إليها من كل أنحاء البلاد، ومن الخارج للمشاركة في الاحتفاء بفاروق. كانت الحشود تتهافت لمجرد رؤية موكبه أثناء ذهابه إلى البرلمان أو لتأدية الصلاة، أو لاجتلاء الزينات التي أقيمت في الشوارع والميادين وعلى المباني العامة والخاصة. كما شهد القصر فيها ما لم يشهده من قبل من ازدحام فاضت به جوانبه، وجوانب السرادق الكبير الذي أقيم في ساحته لاستقبال المهنئين يوم التشريفات، التي امتدت ساعتين أطول مما كان مقدَّرًا لها، ظل فاروق خلالها واقفًا على قدميه لمصافحة كل فرد من المهنئين، وكان الكثيرون منهم يمثلون فئات وهيئات لم تكن تشملها من قبل الهيئات التي يستقبلها الملك في يوم التشريفات.

ومن أسباب سعادته أيضًا كان حضور صافيناز أو فريدة، بعدما غيَّر اسمها وفقًا للتقليد الملكي القاضي بأن تبدأ أسماء الأسرة الملكية بحرف الفاء، اقترب من مائدتها التي تضمها وأمها زينب هانم وأبوها يوسف ذو الفقار باشا، همَّ بالجلوس معهم،

لكن نظرة صارمة من أمه جعلته يتراجع بعد عبارات مجاملة مقتضبة قبل أن يأخذ مكانه على المائدة الرئيسية للحفل، سقط عقله فريسة للتساؤلات، كان في حيرة حقيقية؛ لم يكن يعرف صافيناز قبل رحلة أوروبا، أمه هي من قامت بتقديمها إليه، كانت تشجعه على الاختلاط بها عندما بدأت الرحلة، بل هي التي دعتها للاشتراك في الرحلة من الأصل، وتكفلت بجميع نفقاتها، لكنها وقبل انتهاء الرحلة أخذت تضيق بها وتبدي عدم الرضا عنها! تغيُّر غريب لم يفهمه في سلوك أمه ناحية صافيناز، والأغرب هو تغيُّر حسنين أيضًا! حتى أنه حاول صرفه عنها بشتى السبل، لدرجة أنه وعده بتعريفه بالكثير من الفتيات عند العودة إلى مصر. لم يتمكن من إيجاد تفسير مقنع، لا سيما أنه قد تعلَّق قلبه بهذه الفتاة، خصوصًا أنه بعد مراقبته لتصرفاتها؛ لم يجد إلا كل ما يستحق الاحترام والإعجاب بما تتحلى به من رجاحة العقل وحسن التفكير واللباقة في المناقشة مع الاعتداد بشخصيتها وكرامتها، هذا بالطبع بالإضافة لجمالها الذي سلب عقله وقلبه. ارتسمت ابتسامة على وجهه عندما خمَّن أنه ربما كان السبب في ذلك التغيير الذي طرأ على أمه نحوها راجعًا لغيرة النساء؛ لكونها ظنت أنها عندما قدمتها إليه لتكون زوجته وملكة المستقبل قدرت أنها سوف لا تنسى كونها ابنة وصيفتها فتتكمش أمامها، تترك لها المكانة الأولى كما كانت معتادة، ولكنها رأت بعد كثرة الاختلاط أن فريدة تعتز بكرامتها وشخصيتها، وأن لها من الإرادة القوية ما ينبىء بأنها سوف تعرف كيف تحتفظ بمكانتها كملكة، وهو ما كان يعز على أمه أن يحدث، لأنها سترى فيه ما يسيء لمكانتها.

«نخب مولانا الأمير فاروق، عذرًا أقصد جلالة الملك فاروق..»

انتبه فاروق من شروده على عبارة الأمير محمد علي الأخيرة، وجده واقفًا أمام مائدته، رافعًا كأسه عاليًا مطالبًا بتناول نخبًا على شرف الملك الجديد، وقف الحاضرون جميعًا رافعين كؤوسهم إلا فاروق، ظل جالسًا وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة صفراء؛ لم ينسَ له عدم حضوره حفل التتويج الرسمي في البرلمان، واعتراضه البغيض على مشروع التاج الملكي الوطني. فمصر لا يوجد بها تاج يتوارثه الملوك كما جرت العادة في البلاد الأخرى، ولما كان فاروق هو أول ملك لمصر المستقلة حديثًا؛ فقد وُجِد من الملائم أن يهيىء لها الشعب بنفسه تاجًا يكون رمزًا لإرادته فيحمل الملوك على احترام هذه الإرادة والعمل على ما يعزز ثقة الشعب وولاءه. ولكي يمثل التاج تلك الإرادة؛ يتم الإعلان عن الدعوة لاكتتاب عام لصنع التاج، بحيث لا يُسمح بقبول التبرع بأكثر من مائة جنيه حتى لا يتهافت على المزايدة الراغبون في انتهاز الفرص للدعاية لأنفسهم أو للتملق للملك الجديد، مع ترك الباب مفتوحًا أمام أفقر أبناء الشعب بقبول كل ما يود أي فرد التبرع به مهما كانت قيمته صغيرة، وبذلك يكون الشعب بكل طبقاته قد شارك في صنع هذا التاج الوطني؛ فيكون تقديمه إلى الملك على هذا النحو بمثابة مبايعة عامة له من كل الشعب، ويكون قبوله إياه بهذه الصفة بمثابة عهد منه باحترام إرادة الشعب والالتزام بأداء واجبه نحوه.

«مولانا الملك!..»

غمغم محمد علي بغيظ بعدما شعُر بالحرج لطول وقوفه دون أن يجيبه فاروق، الذي اتسعت ابتسامته شيئًا فشيئًا حتى تحولت لضحكة عالية، نظر إلى كأسه للحظة قبل أن يقول ساخرًا:

- سمو الأمير هذه حفلة شاي! لا وجود للأنخاب في هذه الحفلات.

تعالت ضحكات الحضور على دعابة فاروق وسخريته، وانتفخ وجه الأمير محمد علي، بدا أن الموقف على وشك الانفجار، لكن حسنين تدخل بهدوئه المعتاد ليقضي على هذه الأزمة قبل اشتعال فتيلها، اقترب من الأمير معتذرًا بعبارات مهذبة ثم سحبه إلى داخل أروقة القصر، ولم يعد بعدها للحفل مرة أخرى. انتصبت نازلي واقفة في شموخ وأخذت تتجول بين الموائد تتلقى عبارات التهنئة وتنثر كلمات المجاملة الرقيقة في محاولة منها لاحتواء الموقف وإزالة التوتر. وفاروق عينه لا تفارق أمه للحظة، لكن ذلك لم يمنع عنه نظرات الغيظ التي كان يرميها به سير لامبسون بين الحين والآخر. عاد حسنين وعلى وجهه علامات الارتياح فتنهدت نازلي، بينما هز فاروق كتفيه بلا اكتراث، واقترب منه حسين حسني مساعد حسنين هامسًا بأن النحاس باشا والوزراء يطلبون لقاء جلالته في القصر، مطّ فاروق شفتيه قبل أن يبتسم في مكر بينما تلاقت نظراته مع نظرات سير لامبسون.

كان النحاس جالسًا في قاعة المقابلات، معه نفرٌ من الوزراء وعدد من قيادات حزب الوفد، حينما دخل فاروق عليهم ومن خلفه حسين حسني، وتوجه مباشرةً لكرسيه ثم جلس صامتًا، اقترب النحاس مع انحناءة بسيطة قبل أن يقول:

- من دواعي سرورنا أن يتسع وقت جلالتكم الثمين للقائنا يا مولاي.

أومأ فاروق برأسه دون رد؛ فأشار النحاس بيده لأحد الوزاء الذي ناوله صندوقًا خشبيًا بالغ الفخامة، تركزت نظرات فاروق على الصندوق للحظة ثم سرعان ما عاد يصوب نظراته ناحية النحاس الذي أخرج من الصندوق قلادة، عرفها فاروق على الفور، كانت قلادة جده محمد علي التي تعتبر أرفع وسام في الدولة، انحنى النحاس بقدر ملحوظ قبل أن يمد يده بالقلادة لفاروق قائلًا:

- مولاي المعظم، جئت ومعي صفوة الرجال لنقدم لجلالتكم أرفع وسام في مصر؛ قلادة محمد علي.

ظل فاروق جامدًا في مكانه، لم يمد يده لاستلام القلادة، تنحنح النحاس بعدما شعر بالارتباك:

- مولاي! أرجو أن تتعطف بالقبول.

ضيَّق فاروق عينيه للحظة قبل أن يقول:

- يبدو أنك نسيت أني الملك، الملك هو أعلى سلطة في هذا البلد.

عقد النحاس حاجبيه، وقبل أن ينطق أردف فاروق:

- يا دولة الباشا، الملك يَمنح ولا يُمنح.

اعتدل النحاس في وقفته، بقيَ ساهمًا لا ينطق، علم في قرارة نفسه أن فاروق يرغب في إرساء قواعده من أول لحظة، وانتبه له جيدًا حين سمعه يقول:

- ألسنا دولة محتلة يا دولة الباشا؟.

- مولاي، معاهدة ٣٦ تنص على..

رفع فاروق كفه مقاطعًا:

- أعرف جيدًا بنود معاهدتك، لكن لماذا لم يتم تفعيلها للآن؟

صمت النحاس مترقبًا، أدرك أن فاروق يخفي أمرًا جللًا، ولم تخب توقعاته حين سمعه يقول بصوت واضح:

- اكتب يا حسين بك، أمرنا نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان بإلغاء كافة الامتيازات الخاصة بالسفير الإنجليزي.

ثم صمت لوهلة، جال فيها ببصره بين الحضور، قبل أن يقول:

- ومن اليوم، استغنينا عن كل الإنجليز العاملين في القصور الملكية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست الأميرة شويكار دون انتباه، تتظاهر بسماع شكوى ابنتها لطيفة، لكن عقلها كان في مكان آخر، عاد إلى عام ١٨٩٥، يوم زفافها من الأمير فؤاد ابن الخديوي إسماعيل. كانت شويكار قد ورثت ثروة طائلة من أموال وأطيان وعقارات عن جدها إبراهيم باشا، وفؤاد كان يسعى للزواج من فتاة أرستقراطية ذات حسب ونسب، ثرية لتنفق عليه. تم الزفاف في فبراير في احتفال بسيط في قصر الزعفران، اقتصر على أسرتي العروسين للحالة الصحية الحرجة التي كان يمر بها الخديوي إسماعيل الذي لم يلبث أن مات بعد أسبوعين فقط من الزواج. وبعد وفاته بأيام؛ استقال فؤاد من منصبه في القصر ليتفرغ لإدارة ثروة زوجته، وكان هذا هو الباب الذي تدفقت منه زوابع الخلافات بينهما وظلت تتفاقم وصحت معها كل التخمينات التي قالت بأن هذه الزيجة ليست إلا مجرد صفقة. كان الأمير فؤاد يقضي معظم وقته في الكلوب الخديوي يحاول أن يربح، لكنه للأسف كان يخسر المزيد من أموال شويكار على طاولة القمار، لم يردعه أنه رُزق منها بإسماعيل وفوقية، بل زاد من طيشه وحماقته تورطه في علاقة غرامية مع عشيقته مدام سواريف، التي استمرت علاقته بها عشرين عامًا، انتهت حين ماتت فجأة بين ذراعيه وهي تراقصه في حفلة كانت تقيمها في قصرها، حزن فؤاد عليها حزنًا شديدًا غير مبالٍ بشويكار الجريحة التي أخذ يبدد أموالها على القمار والخمر، تركها حبيسة جدران قصر الزعفران. وبعد فترة وعدة محاولات فاشلة، تمكنت شويكار من الهرب أثناء غياب فؤاد المتكرر، توجهت لقصر والدها بالدوبارة وكانت تلك فرصتها الذهبية، حكت لأخيها الصغير، الأمير سيف الدين، عن سوء معاملتها لكنه أعادها وحبسها من جديد في قصر الزعفران. استطاعت شويكار تهريب عدة رسائل لعمتها عين الحياة، الزوجة السابقة للسلطان حسين كامل، ووصلت إحدى رسائلها إلى حكمدار

القاهرة الإنجليزي هارفي باشا، الذي تحدث لأخيها؛ توجه سيف الدين إلى الكلوب الخديوي، أطلق على فؤاد ثلاث رصاصات، استقرت الأولى في فخذه وطاشت الثانية وأصابت الأخيرة أسفل البطن، وكانت النتيجة هي الطلاق.

«ماما! تسمعينني؟..»

انتبهت شويكار من شرودها، تمالكت نفسها بسرعة غريبة ثم رسمت على وجهها ابتسامة هادئة:

- لا أريدك أن تقلقي يا لطيفة.

- يا ماما، أخبرتك أن نازلي اللعينة...

قاطعتها شويكار بحدة:

- إسماعيل ابني، لو كان حيًا لكنت أنا أم ملك مصر.

تسمرت لطيفة في مكانها للحظة قبل أن تقول:

- ماذا تقولين؟!

- أقول أن نازلي لم تكن تستحق الجلوس على عرش مصر أيام فؤاد، ولا تستحق أن تكون أم الملك الآن.

صمتت للحظة ثم تمالكت نفسها على الفور وعادت إليها تلك الابتسامة والنبرة الهادئة الغريبة:

- لا تقلقي، فاروق ولد صغير...

قاطعتها لطيفة بحدة:

- ماما! أحدثك عن حسنين ونازلي، وأنت تتكلمين عن فاروق؟!

ابتسمت شويكار قائلة:

- أعلم أنه سيذهب للمنتزه للقاء البنت الصغيرة فافيت، هناك سأدعوه للغذاء، وعندها سيكون لكل مقامٍ مقال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوقت كان متأخرًا، وفاروق ما يزال جالسًا وراء مكتبه يطالع عددًا من التقارير التي تركها له حسين حسني قبل مغادرته القصر، كان ذهنه مشغولًا للغاية، رغم ذلك كان صدره منشرحًا تملؤه الغبطة والأمل في المستقبل، كان عاقدًا العزم على تولي مسئولياته كأول ملك مستقل لمصر، مُصِرًّا على تحقيق أماني وأحلام الشعب، واضعًا نصب عينيه خطوات جده الأكبر محمد علي فيما أخذ به من أسباب النهوض بمصر حتى باتت الدول الكبرى تخشى بأسها وقوتها. امتلأت الأوراق أمامه بالكثير من التقديرات، عن ردود الأفعال المتوقعة من السفير البريطاني عقب طرد المستخدمين الإنجليز من القصر، وإلغاء كافة الامتيازات التي كان يتمتع بها على

الرغم من توقيع معاهدة ١٩٣٦؛ فقبل توقيع المعاهدة كان السفير يختص بعدد من الامتيازات، السماح بحراسة السفارة البريطانية بحرس من الجيش البريطاني، فتح الباب الملكي له بمحطة السكة الحديد، تخصيص قطار خاص له والاستقبال رسميًا عند سفره، وقف حركة المرور بالشوارع عند تحركه بسيارته وإحاطتها بحرس خاص. ورغم توقيع المعاهدة إلا أن الحكومة آنذاك رأت مجاملة السفير البريطاني بالإبقاء على تلك الامتيازات. التقارير أشارت لاحتمالات ردود فعل عنيفة من جانب السفير، خاصةً وأنه سيعتبرها الإهانة الثالثة لشخصه على التوالي؛ بعد رفض فاروق التعامل مع مستر فورد في البداية، واستدعائه لمسيو فيروتشي الإيطالي -والذي كان من المقربين لدى أبيه- للعودة إلى منصبه في القصر كبيرًا للمهندسين، لكن فاروق في حقيقة الأمر لم يكن قد صدر عنه ذلك إلا رغبةً صادقة في بداية عهده بالحفاظ على كرامة بلاده والتمسك بالمبادىء الوطنية.

رفع فاروق رأسه عن الأوراق عندما اقتحمت نازلي غرفة المكتب، ومن خلفها حسنين يسعى لاحتواء الموقف قبل اشتعاله. نظر فاروق لأمه طويلًا؛ كانت ترتدي ملابس مكشوفة بشكل ظاهر، كأنها تتعمد إبراز مفاتنها، لكنه قبل أن ينطق بكلمة؛ بادرت هي صائحة:

- لمَ أعدت هذا الإيطالي الملعون؟ تعرف أني لا أرغب في وجوده بالقصر!.

وقف فاروق احترامًا لها قبل أن يقول بهدوء:

- ماجيسته، تعلمين أني طردت الإنجليز، الآن أحتاج لمن يعاونني، مسيو فيروتشي كان من أخلص الرجال لأبي.

تدخل حسنين في الحوار قائلًا:

- معذرةً يا مولاي، أليس بإمكاننا الرجوع في قرار طرد الإنجليز، لا نريد بداية عهدك بصراعات لا لزوم لها، وخصوصًا مع لامبسون؛ هذا العجوز داهية وأنا أعرفه جيدًا.

هتفت نازلي بحنق:

- لا يهمني لامبسون أو غيره! فاروق، اسمعني جيدًا، لا أريد هذا الفيروتشي في قصري أبدًا.

اقترب منها فاروق ثم طبع قبلة حانية على خدها قبل أن يقول:

- ماجيسته، تحبين أن يكون ابنك ملكًا ضعيفًا؟!

رمته بنظرة جانبية قبل أن تقول بنبرة ظهر معها أنها بدأت تلين:

- وماذا نفعل بملك ضعيف؟!.

طبع قبلة أخرى على رأسها ثم قال:

- إذن لا تقلقي، كان لابد أن يعرف الجميع، لامبسون قبل النحاس، أننا لا نخاف من أحد، وفيروتشي أنا سأعرف كيف أحجمه.

قال حسنين بهدوء:

- أنا لا يقلقني النحاس والوفد، أنا فقط أخشى...

قاطعه فاروق بحدة:

- النحاس لم يقل أني ولد كما يفعل لامبسون، لكن كل تصرفاته تشعرني بذلك.

أضافت نازلي:

- النحاس وطني، لا خوف من جانبه، الخوف من الإنجليز والمقربين منك يا فاروق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«أعاهد نفسي وإياكم، أن أكون مَلكًا لكل الناس..»

الطقس كان لطيفًا في هذا الوقت المبكر، حمَّل الهواء نسمات باردة من جهة البحر مشبعة برائحة اليود، وذلك خلافًا لما هو معتاد في شهر أغسطس، استرخت صافيناز فوق مقعد أنيق من خشب البامبو، في شرفة سراي أبيها بالإسكندرية، وانشغل عقلها في استرجاع كل ما جرى في الفترة الأخيرة بسرعة؛ لم تكن هذه الفتاة الصغيرة التي بالكاد تجاوزت السادسة عشر من عمرها، تتصور أن تتغير حياتها بهذا الشكل. الأمر كان بالنسبة لها أقرب للروايات والقصص التي تحب قراءتها في الأدب الفرنسي، حقًا كانت شديدة الاعتداد بنفسها، ولها شخصيتها المستقلة، لكنها لم تتخيل أبدًا أنه يمكن لها الجلوس على عرش مصر!.

قبل بضعة أشهر، وبالتحديد في فصل الشتاء، بدأت القصة حين دعتها نازلي وأمها لمرافقة العائلة المالكة في رحلتهم المعتادة، ثم سعت لتقديمها إلى فاروق وحاولت التقريب بينهما. في البداية لم تنجذب إلى فاروق، لم تشعر نحوه بأي شيء؛ فهو رغم وسامته وأدبه المفرط كان شديد التعلق بأمه، لكنها مع الوقت بدأت تلحظ جوانب أخرى في شخصيته جعلتها تميل نحوه، خصوصًا مع توطد أواصر الصداقة التي نشأت بينها وبين شقيقتَيه فوزية وفايزة. من هنا رمى الغرام سهمه فأصاب هدفه، مسامرات فوق ظهر الباخرة، جولات بين ثلوج سويسرا وأمسيات في شوارع باريس، لمسة رقيقة هنا وتربيتة خفيفة هناك، وكأي مراهقَين تبادلا كلمات الحب ومشاعر الغرام، بدأت العلاقة التي ربطت بين قلبَيهما. ومع حلول موسم الصيف انتقل فاروق للإقامة في قصر المنتزه، أخذ يرسل لها الهدايا القيمة والخطابات الرقيقة، بدأ يكثر من زيارتها في سراي أبيها، لكنه لم يتجاوز معها في الحديث أبدًا، ولم يفاتحها في موضوع الزواج ولا مرة واحدة. بالأمس وقبل سفر أبيها إلى بورسعيد، سألها عن أخبار الملك الشاب، فتورد وجهها خجلًا، حتى أمها قبل أن تذهب للشاطىء مع صديقاتها سألتها بقلق: «ألم يخبرك فاروق بأي شيء!».

انتبهت من شرودها على صوت خادمتها:

«سيدتي، مولانا جلالة الملك يرغب في رؤيتك..»

رقص قلبُها؛ لديها شعورٌ خفي بأن هذه الزيارة مختلفة، لكنها تمالكت نفسها وتظاهرت بالجدية قبل أن تُبلغ الخادمة في وقار مصطنع بإخبار جلالته أنها ستحضر على الفور. ارتدت فستانًا أبيض اللون بلا أكمام، تزينه ورود زاهية، مفتوح من جهة الصدر لكن مع قدر من الحشمة، بالكاد يغطي ركبتيها، حين نزلت وجدته يجوب الردهة بقلق، مرتديًا زيًّا رياضيًّا يناسب حرارة الطقس، التفت ناحيتها فور سماعه صوت خطواتها، ثم لم يمهلها، خرج صوته محملًا بمشاعره الرقيقة:

- فافيت، تقبليني زوجًا لك؟.

رغم كونها انتظرت طلبه هذا منذ فترة، بل توقعته هذا الصباح، إلا أنها لم تستطع الرد؛ فأطرقت برأسها خجلًا، واكتفت بكلمة واحدة: «مولاي». ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه، أشرقت ملامحه الوسيمة، أمسك يدها ثم انطلق مهرولًا يسحبها خلفه خارج السراي. اصطحبها في سيارته المكشوفة إلى الشاطىء الذي كانت أمها تمضي فيه صباحها، أخبراها بما حدث بينهما من حديث؛ فطفرت دموع الفرحة من عينيها قبل أن تقول بسعادة: «تلك نعمة من الله، وشرف كبير يا مولاى».

لمعت عينا فاروق بالحب، وقبل أن يودعهما ابتسم لصافيناز قائلًا:

- لدي موعد للغذاء مع الأميرة شويكار، في المساء سآتي لخطبتك رسميًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حين وطأت قدماه قصر شويكار، كان الانبهار هو الشعور المسيطر على فاروق، لم يكن ذلك بسبب روعة البناء ولا فخامة الأثاث؛ فهذه كلها أمور اعتاد عليها منذ الصغر، لكن بسبب كل هذا العدد الضخم من الفتيات الجميلات!. الأجواء داخل القصر كانت ساخنة إلى درجة تزيد عن تلك التي تسببها شمس أغسطس خارجه، وصاحبات القدود الممشوقة من كل الأجناس والأعراق يتحركن بملابس البحر في حرية ورشاقة، أصواتهن وضحكاتهن تضفي جوًّا من المرح والإثارة، تركيات شقراوات وإيطاليات برونزيات ويونانيات مثيرات ومصريات ملفوفات، جمال أنثوي مبهر طغى على أجواء القصر. انتبه على تربيتة خفيفة على كتفه؛ انتفض في وقفته ثم التفت مفزوعًا، لكنه ابتسم حين وجد شويكار تستقبله بابتسامة عريضة، على الفور قبل يدها محييًا، لثمت خده في ترحاب وود بالغ، ثم قادته إلى حديقة القصر المترامية الأطراف، كانت عيناه ما زالتا مبهورتان بكل هذا العدد من النساء، الذي لم يصادفه مجتمعًا في مكان واحد من قبل.. عدا الخدم؛ لم يكن هناك رجل سواه في القصر!.

ابتسمت شويكار في خبث حين انحنت فاتنة إيطالية أمام فاروق، مبرزة جمال نهدَيها، أثناء تقديمها كأس من العصير:

- أعجبكَ قصري؟!.

هتف فاروق، وعيناه لا تفارقان المشهد الخلاب للفتاة عندما استدارت مغادرة:

- سمو الأميرة، القصر كأنه مزرعة للحسان!.

ضحكت شويكار بميوعة، لا تناسب سنوات عمرها، قبل أن تقول بدلال:

- كُلُّهن في خدمة مولانا المعظم، وتحت أمره.

احمر وجه فاروق قبل أن يقول مجاملًا:

- كرمٌ منكِ سمو الأميرة.

اعتدلت شويكار في جلستها قبل أن تتصنع الجدية حين قالت:

- فاروق! أنت ملك مصر الآن، أي فتاة أو امرأة ـ وإن كانت متزوجة ـ تتمنى صحبتك.

رشف فاروق من كأسه قبل أن يقول:

- ليس لهذه الدرجة سمو الأميرة!.

زادت الثعلبة العجوز من جديتها حين قالت:

- الخلفاء كان لهم الكثير من الجواري، قرأت مرة أن أحدهم امتلك ألف جارية.

قهقه فاروق:

- مالنا نحن ومال الخلفاء.

قرنت شويكار حاجبيها:

- أنت الآن في مقام الخليفة، لولا حقد الحاقدين وخوف الطامعين لكنت الخليفة بالفعل.

تذكر فاروق ما كان من النحاس والأمير محمد علي وقت تتويجه، لكن جسدًا يونانيًا فارهًا جعله ينتبه قبل أن يقول شاردًا في تفاصيله:

- وهذه جارية!.

قهقهت شويكار فرنت ضحكتها الحادة قبل أن تقول:

- فاروق! بنات عائلات وأميرات، لكن كلهن في خدمة جلالتك إن شئت.

تنحنح فاروق، ثم قال بينما كان يحاول التشاغل باستكمال شرب العصير:

- لا توجد أفضل من صحبة النساء.

لمعت عينا العجوز في مكر:

- وماذا تنتظر؟ عليك فقط الاختيار. إن شئت جمعتهن لك، وإن شئت أحضرت لك غيرهن.

ارتبك فاروق لقولها، لكنه تظاهر بالابتسام، كان ينظر إليها متعجبًا، لا يعلم ما أعجب أبوه فيها؛ لم تكن جميلة، أمه نازلي كانت أجمل وأصغر في السن، حتى أن أخته فوقية كانت في مثل عمرها تقريبًا، لكنه أبدًا لم يصدق الشائعات التي كانت تقول أن أبيه تزوج شويكار طمعًا في ثروتها. قامت الأميرة العجوز من جلستها، أمسكت بيده وأخذت تسير إلى جواره في الحديقة الواسعة، ثم قالت:

- سمعت أن لك قصة رقيقة مع صافيناز، بنت يوسف ذو الفقار.

أطرق فاروق برأسه للحظة قبل أن يقول بصوتٍ هادىء:

- سمو الأميرة، معلوماتك صحيحة كالعادة.

ضحكت شويكار قائلة:

- محظوظة بنت زينب.

ابتسم فاروق ولم يعقب، لكن روح الثعلبة تلبست شويكار من جديد؛ عادت لممارسة ألاعيبها:

- فاروق، أنا أعتبرك كإسماعيل الله يرحمه.

ابتسم فاروق متعاطفًا مع ذكرى شقيقه الراحل، الذي مات دون أن يبلغ عامه الأول:

- اعتبريني ابنك سمو الأميرة.

خرجت الكلمات من فمها الرفيع بسرعة:

- معقول يا فاروق! كل الأميرات لم تعجبك منهن واحدة!.

أومأ فاروق برأسه مبتسمًا:

- صدقيني سمو الأميرة، فافيت مختلفة.

مطَّت العجوز شفتيها المتغضنتين في ضيق:

- تدللها أيضًا؟! كنت أتمنى لو دللني أبوك ولو لمرة واحدة.

ضحك فاروق ثم قال:

- الله يرحمه، لم يكن يعرف طبائع النساء.

رمته شويكار بنظرة ثاقبة ثم سألته:

- ستتزوجها إذن؟.

بيقين تام أجاب فاروق، وابتسامة عريضة ارتسمت فوق وجهه:

- مؤكد.

تركت يده تفلت من كفها المعروق، سارت عدة خطوات صامتة، ثم توقفت لبرهة تداعب غصن شرد متدليًا من فرع أحد الأشجار النادرة، قبل أن تلقي بقنبلتها

الموقوتة:

- وأيُّ زفافٍ سيُقام أولًا؟ زفافُك أم زفاف نازلي؟.

اختفت الابتسامة من على وجه فاروق، حلَّت الحيرة مكانها قبل أن يتساءل في دهشة:

- نازلي من؟!.

اقتربت العجوز منه ثم ربتت على كتفه، بدا صوتها أقرب للفحيح حين قالت:

- أمك نازلي، جلالة الملكة.

تحولت حيرته لعبوس، وخرجت الكلمات متقطعة من فمه:

- لا أفهم قصدك!.

اقتربت منه أكثر، وضعت كفها البارد على رقبته:

- نازلي وأحمد حسنين، لطيفة ابنتي ستطلق منه، بعدما عرفت علاقته بأمك.

ثم لم تمهله؛ جذبته من رقبته حتى صارت أذنه ملاصقة لفمها، وأخذت تبث حقدها الدفين في نفسه:

- أرجوك يا فاروق أنت تعلم حبي لك، لكن هذه الأمور حساسة، وشرف العائلة المالكة يخصنا جميعًا، لذا فضلت أن أنبهك قبل انتشار الفضيحة.

وقف فاروق مصدومًا لا يصدق ما يسمع، لكن شويكار لم تتركه، طبعت قبلة باردة على خده، ثم جاهدت لتخرج دمعة يتيمة من مائها الذي جف قبل أن تقول بنبرة أقرب للبكاء:

- الحمد لله، الآن تأكدت أنك لا تعرف بأمرهما، وأن الأقاويل التي تزعم موافقتك على علاقتهما مجرد إشاعات خبيثة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادر فاروق الإسكندرية في نفس الليلة، لم يخبر أحدًا، لا أمه ولا حسنين، عاد إلى قصره الملكي ثائرًا، يحمل في نفسه جرحًا غائرًا. خاصم النوم وقضى ليلته ساهرًا، يسير في غرفته ذهابًا وإيابًا، يحاول التفكير في هذه المصيبة التي أصابته من حيث لا يحتسب. حاول أكثر من مرة طرد الأفكار الخبيثة التي زرعتها شويكار في عقله، فكَّر مرارًا في أن هذه الشمطاء ربما تسعى للانتقام من أمه بدافع الغيرة؛ لم تنسَ لها زواجها من أبيه وتربُّعها فوق العرش. رفض تصديق كل ما نطقت به من هذيان، لم يتقبل أبدًا الفاجعة التي نزلت به في شخص أعز مخلوقَين لديه، أمه التي يخصها بكل الحب والعطف بعد طول إبعاده عنها في حياة أبيه، وأستاذه ومرشده الذي يوليه من الثقة والأمل في أن يكون له دومًا الناصح المخلص الأمين، حتى أنه أراد الإعراب عن مدى حبه له وثقته فيه فلم تنقضي الليلة الأولى لعودته من إنجلترا بعد وفاة أبيه إلا وقدمه بنفسه إلى أمه لتشاركه الشكر والتقدير!.

«هذه الملعونة شويكار، لا أستطيع إخراج سمها من عقلي..»

جزَّ على أسنانه بينما كان يحدث نفسه؛ الحيرة تكاد تشطره نصفَين، لم يكن يعلم أكان من الأفضل لو بقي جاهلًا بما يحدث، مغفلًا، أم أن موقفه الآن أفضل!. وماذا إن تأكد من صحة هذه المصيبة؟! أيقتلهما؟! لن يكون الأمر صعبًا؛ فما عليه إلا إصدار الأمر، لكنه لن يتمكن من الحياة بعدها دقيقة واحدة؛ يقتل أمه، لا لن يستطيع. ربما من الأفضل أن يرسلها إلى سراي المجانين، لكن كيف سيتصرف إزاء الفضيحة؛ جلالة الملكة أم الملك مجنونة، لابد أن ابنها مجنون مثلها. إذن ليقتل حسنين، هو الملام دون شك، خائن للعهد وناكر للجميل، لكنه لا يعرف ماذا سيكون رد فعل أمه، لابد أنه سيكون عنيفًا، لا يستبعد أن تقتل نفسها.

«تبًا لكما..»

غاضبًا أطاح بقدمه منضدة صغيرة، اعترضت طريق غدوه ورواحه في الغرفة، عندما أدرك مدى حماقته بأنه هو من مهَّد الطريق لهذه النيران التي تتأجج بين جوانحه، تمزق صدره.

وفي الصباح الباكر استدعى عمر فتحي وحسين حسني، دون إخبارهما عن السبب. فور دخوله مكتبه، بخطوات عصبية وقد بدا على وجهه التجهم والغم، وجدهما في انتظاره؛ بادرهما بالسؤال عن مدى معرفتهما بوجود علاقة بين أمه وحسنين. تسمَّر الرجلان في وقفتهما خصوصًا بعد رؤيتهما لمنظره، وجهه الصبوح تبدل إلى وجه غاضب مخيف، احتقن بدماء الغيظ والكبت وهو يروح ويغدو في أرجاء الغرفة، كأنه وحش ثائر جريح أُحكِمَت حوله أسوارُ قفصٍ لا يملك منه فكاكًا ولا حيلة للهرب. تبادل الرجلان النظرات فيما بينهما، والتزما الصمت؛ كان لكل منهما أسبابه الخاصة، عمر فتحي يخشي من معرفة فاروق لما جرى بينه وبين نازلي، وحسين يخاف أن يكون فاروق قد علم بما أبلغه به الصحفي محمد التابعي عندما رأى نازلي وحسنين يتبادلان القبلات الحارة أيام رحلة أوروبا!.

«أوشك على الجنون! أطلب منكما مشاركتي في التفكير..»

قطع فاروق حاجز الصمت الذي سيطر على الغرفة لفترة، تبادل حسين وعمر النظرات، كان ما يؤلمهما هو رؤية فاروق المسكين وما أحدثته هذه الصدمة العنيفة من جرح غائر في نفسه البريئة في باكورة أيام حكمه. حدثهما فاروق بما يدور في خاطره، فأخذا يخففان عنه ويلطفان من حدته، موضحان له ما في اتخاذ العنف من مخاطر وإثارة للفضائح، واستمرا يحاولان إقناعه أن التفكير الهادىء في مثل هذه المواقف قد يجعل من الميسور الوصول إلى مخرج من ذلك الوضع المؤلم. قضيا شطرًا كبيرًا من النهار يدليان بالمقترحات، وإن كانا لم يصلا في النهاية إلى حلٍ أوفى مما أبدياه من وجوب التمسك بالحكمة والعقل، فلعله يمكن إيقاظ نازلي من غفوتها، أو لعل حسنين من جانبه يصحو ضميره.

تأمل فاروق وجهيهما لفترة، ثم شرد للحظات قبل أن يمسك سماعة الهاتف:

- أوصلني برئيس الحرس.

نظر عمر فتحي إلى حسين حسني متسائلًا، لكن الأخير تجاهله وبقي متسمرًا حتى سمع صوت فاروق يقول مخاطبًا رئيس حرس قصره بكل حزم:

- من الآن، يُمنع أحمد حسنين من دخول القصر.

سيطر الوجوم على الرجلين ولم يجدا القدرة على مناقشة فاروق، الذي رفع نظره تجاه حسين حسني قبل أن يكمل أوامره:

- تجمعوا ملابسه، وتتركوها عند حرملك قصر عابدين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عاد حسنين إلى القصر متأخرًا كعادته، تعجب عندما وجد بواباته مغلقة؛ تسوَّر أحد الأبواب، كان وقع المفاجأة عليه كبيرًا حين وجد مجموعة من الحرس تلتف حوله، كأنها تقبض عليه أو تضبطه متلبسًا بجرم، قبل أن يتملكه الغضب اقترب منه رئيس المجموعة يبلغه بأدب بالغ تعليمات الملك، تسمَّر حسنين في مكانه لوهلة غير مصدق، لكنه سرعان ما تمالك نفسه، غادر القصر دون كلمة واحدة. اتخذ مسكنًا له في مصر الجديدة، اعتكف فيه وامتنع عن الذهاب إلى القصر بتاتًا.

كانت نازلي من ناحيتها قد نزلت مع الأميرات في قصر أبيها بالدقي، وأعلنت اعتزامها الإقامة الدائمة هناك؛ أرادت أن تكون أكثر حرية، وأن تسبق الأحداث حتى لا يجمعها قصر واحد مع الملكة الجديدة المنتظرة. وعندما جاءت في الصباح للقصر، كان أول ما فعلته هو السؤال عن حسنين، أبلغها الخدم بما حدث فاشتعلت نيران غضبها؛ اقتحمت مكتب فاروق ثائرة وارتفع صياحها، لكنه فاجأها بردٍّ خشن وحاد؛ فانصرفت مهرولة وهي لا تصدق أن يكون ابنها سببًا في انفطار قلبها.

ليلتان كاملتان قضتهما نازلي طريحة الفراش، ترافق السهد والحزن، حتى أتت جهودها ثمارها أخيرًا؛ كانت قد استعانت بأحد رجال الداخلية الذين يدينون لها بالولاء، فأخبرها بتوصله لمكان اختفاء حسنين، على الفور أمرت سائقها بالتوجه إلى العنوان المنشود. توقفت سيارتها الكاديلاك الفارهة خلف سيارة حسنين، الفورد السوداء، نزلت نازلي تواري وجهها وراء طرحة بيضاء وأسفل قبعة ضخمة، وسريعًا أخذت طريقها إلى داخل العمارة.

لم يستغرق حسنين وقتًا قبل أن يفتح باب الشقة، بعد سماعه لجرس الباب، تأملته نازلي للحظة وترقرقت عيناها بالدموع، لم يكن الرجل الذي عشقت وسامته وأناقته، كان سوء حالته النفسية باديًا عليه بوضوح، عيناه غائرتان، ذقنه نابتة لدرجة ملحوظة. وقف حسنين للحظة مدهوشًا، لم يتعرف على هذه السيدة المختبئة خلف القبعة الكبيرة. لكن نازلي لم تمهله، دفعته برفق ودلال في صدره، ثم دخلت الشقة وهي تخلع قبعتها وتزيح طرحتها، ألقت بهما على أحد المقاعد القريبة. في ثقة شديدة، اقتربت منه واضعة ذراعيها حول رقبته:

- ظننت أني لن أعثر عليك؟!

أغلق حسنين الباب، أزاح ذراعيها بلطف قبل أن يقول:

- أنا طلقت لطيفة.

هتفت نازلي بعدما تعلقت في رقبته كالأطفال:

- خبر عظيم.

للمرة الثانية يزيحها، قبل أن يقول بضيق:

- مولاتي!.

لم يوقفها صده لها فاقتربت منه، تحتضنه وتحك وجهها في ذقنه الخشن:

- كيف قدرت على البعد؟!

بدا أن ممانعته ضعفت فخرج صوته هادئًا:

- الإهانة كانت أكبر مما أحتمل يا مولاتي.

ابتعدت عنه فجأة، تكدَّر وجهُها:

- مولاتي! مرة أخرى.

ثم استراحت ملامحها فجأة، حلت رباط فستانها كاشفة عن صدرها وذراعيها، احتضنته بقوة وقبلته قبلة طويلة حارة قبل أن تقول بدلال:

- لا تحزن يا حبيبي، سأرد لك اعتبارك.

رد حسنين وصوته لم يتخلص بعد من مفعول قبلتها العنيفة:

- صعب يا مولاتي.

خلعت فستانها، قبل أن تقول بشبق:

- ألا تثق في حبيبتك نازلي! سأجعله يعتذر لك.

أنهت عبارتها ثم قبلته مرة أخرى، قبل أن تردف:

- ألا يكفيك اعتذار ملك مصر والسودان!

اتجهت إلى هاتف أسود معلق على الحائط، بالقرب من أريكة وثيرة، أمسكت بالسماعة ثم طلبت رقمًا:

- فاروق، أنا أمك، أريدك اليوم في الدقي لأمر عاجل.

وضعت السماعة ثم استلقت على الأريكة، كاشفة عن ساقيها، ونظرات عينيها تكشفان عما يجول في نفسها. نظر حسنين نحوها لفترة قبل أن يحسم أمره ويبدأ في خلع ملابس نومه الحريرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوقت كان متأخرًا، خيَّم الصمت التام على أجواء القصر، ونازلي جالسة على مقعد مُذهَّب فخم في الردهة الفسيحة، تترقب وصول فاروق، ترشف كل فترة من فنجان

الشاي، تنقر بأصابعها بتوتر على ذراع المقعد. رمت بصرها صوب الباب حينما سمعت صوت الجرس، لمحت الخادم الأسمر بقفطانه الأحمر الأنيق يسرع الخطا فبادرت بلهجة صارمة:

- جلالة الملك وصل، غادر فور دخوله، لا تعد إلا عندما يرحل.

أحنى الرجل رأسه قبل أن يكمل طريقه إلى الباب، دخل فاروق صامتًا، الوجوم يرتسم على وجهه، بدا عليه الإرهاق وحزن ممتزج بغضب كبير. تقدم ناحية نازلي، التي مدت رقبتها في شموخ، بخطوات كان صوت دقاتها مسموعًا. وقف أمامها دون أن ينطق، ورفرف الفتور بينهما لوهلة قبل أن تحاول نازلي تبديده:

- لن تجلس؟!

لم يتحرك فاروق، قال بصوتٍ حاول قدر استطاعته أن يخرج هادئًا:

- جئتُ كما طلبتِ، ماذا تريدين؟.

رفعت نازلي حاجبًا وخرج صوتها حادًا:

- لهجتك لا تليق، أنا أمك!.

بغيظٍ مكتوم وكأنه لا يرغب في الانفجار:

- أمي؟ بعد كل ما فعلت!

نهضت نازلي بحدة، خطَت خطوتان حتى صارت أمامه بالضبط،كأنها تتعمد اتخاذ موقف المواجهة معه:

- ماذا فعلت يا فاروق؟ ماذا فعلت يا ابن فؤاد!.

رماها بنظرة شعرت معها بمدى إزدرائه لها، قبل أن يقول بحدة:

- سيرتك أصبحت على كل لسان، أنتِ وحسنين لطختما الشرف الملكي، أنتِ .. أنتِ..

صمت للحظة كأنه يريد تمالك أعصابه، خرج صوته أقل حدة حين قال:

- لا أريد أن أرفع صوتي؛ أخواتي نائمات، لا يجب أن يعرفن شيئًا عن هذا القرف.

اتسعت عينا نازلي في ذهول؛ لا تصدق أن ابنها يخاطبها بهذه الطريقة، قبل أن تقول متحدية:

- لا، ارفع صوتك ما شئت، لسنا في القصر يا جلالة الملك.

خرج صوته يحمل قدرًا واضحًا من الاشمئزاز:

- لابد أن تخجلي من نفسك؛ نسيتِ أنكِ أرملة ملك وأم ملك، لمَ تريدين تدميري وتدمير عرشي!.

رنّت ضحكة نازلي المتهكمة فتردد صداها بين جنبات ردهة القصر قبل أن تقول متهكمة:

- عرشُك! أنا من أجلستك فوقه يا ابن فؤاد، لولاي وحسنين لكنت الآن مطرودًا تنتظر إحسانًا من محمد علي أو أيًا من كان سيجلسه سفير إنجلترا فوق العرش.

أشاح بيده غاضبًا:

- حسنين عشيقك يستحق الشنق.

قالت محتدة:

- تعلم أنه أكثر الرجال إخلاصًا لك وللعرش!

قال متهكمًا:

- فعلًا، مخلص لعرشي، وأكثر إخلاصًا لفراش أمي.

تسمَّرت نازلي في مكانها مبهوتة، مكثت على تلك الحالة لفترة وفاروق يراقبها متشفيًا، ثم تراجعت حتى جلست فوق مقعدها قائلة بهدوء:

- من أجل هذا طلبتُك، سأتزوجه.

اتسعت عيناه وارتفع صوته حين صاح:

- ماذا تقولين؟!

واصلت نازلي نبرتها الهادئة:

- أنا أحبُّه، ولا أريد أن تكون...

قاطعها فاروق بغضب:

- لكنه متزوج، لديه أولاد.

ردت ببرود:

- طلقها.

تحشرج صوته قبل أن يقول بذهول:

- هذه ليست تصرفات ملكة على الإطلاق.

خرجت نازلي عن شعورها فصرخت:

- لست ملكة، أنا امرأة عادية، لدي احتياجات وحقوق لم أحصل عليها مع أبيك!

- لا أصدق ما أسمع، عن أي حقوقٍ تتحدثين!

- عن شرع ربنا، من حقي أن أتزوج بعد...

- لا يجوز يا صاحبة الجلالة، أم نسيتِ أنكِ كنت زوجة السلطان فؤاد!

في عصبية وحدة صاحت:

- فؤاد مات، تقاليد العائلة ليست شرعًا من السماء.

ظل فاروق جامدًا في مكانه كتمثال، هدأت نازلي قليلًا ثم التقطت أنفاسها قبل أن تقول:

- اسمع يا فاروق، أنا أريد أن أعيش، أعوض سنوات الحرمان، والأمر في يدك.

نظر لها مليًّا دون أن يرد؛ فأكملت هي على الفور:

- تحب أمك عشيقة أم زوجة على سنة الله ورسوله.

لمعت الدموع في عينيه وخرج صوته مرتبكًا:

- لا أصدق ما أسمع، مؤكد يوجد حل آخر.

قالت نازلي بحسم:

- طبعًا يوجد، تقتلني وحسنين، وهذا أمر سهل بالنسبة للملوك.

نظر نحوها برجاء قبل أن يقول:

- وكيف أعيش بعدها؟!.

بجمود أجابته:

- هذه مشكلتك، لن أكون موجودة وقتها لمساعدتك.

انهار فاروق متخاذلًا فوق أقرب مقعد، دفن وجهه بين راحتيه، ارتفع صوت بكائه، لم تهتز نازلي واستمرت في جلستها المتجبرة، حتى رفع وجهه المبلل بالدموع وقال بصوت مبحوح:

- لدي شرط واحد، زواجٌ عرفي، ويبقى سريًّا.

أومأت نازلي برأسها في كبرياء قبل أن تقول:

- موافقة لكن بشرط، تقابل أحمد، تصالحه وتراضيه.

جزَّ فاروق على أسنانه:

- لا أعرف مكانه.

على الفور قالت بسعادة:

- أنا أعرف، سأخبرك.

هز فاروق رأسه مستسلمًا، قبل أن ينظر نحوها غير مصدق أن هذه المرأة أمه حين سمعها تقول:

- وطلبٌ أخير من أم لابنها، امنحه الباشاوية، عيِّنه رئيسًا للديوان.

نهض فاروق مهزومًا، غادر وقدماه لا تقويان على حمله، دموع القهر تكاد تكتم أنفاسه، فتح الباب لنفسه دون أن ينظر خلفه. وبينما كان يلقي بنفسه في سيارته، كان الخادم الأسمر صامتًا، يمسح دموعه بعدما سمع من مكمنه كل شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«الملك يَمنح ولا يُمنح..»

وقفت نازلي أمام مرآتها الضخمة، ومن حولها الوصيفات والخادمات يساعدنها على إنهاء زينتها؛ استعدادًا للحفل المنتظر. كانت السعادة تحاوطها لدرجة لم تستطع معها مداراتها، بدا ذلك واضحًا من ابتسامتها التي لم تفارق وجهها، خصوصًا بعدما أيقظها حسنين بقبلة طويلة، وأخبرها أن مظاهر البهجة عمَّت في كافة أرجاء المحروسة؛ احتفالًا بزواج فاروق. امتلأ ميدان عابدين بالبشر، تجمعوا منذ الصباح الباكر ووقفوا يهتفون بحياة ملكهم. ازدحمت الشوارع والشرفات؛ لمشاهدة الموكب الملكي في طريقه من ميدان عابدين إلى قصر القبة. انتشرت فرق الفرسان بالشوارع والميادين لتقدم عروض الخيل الرائعة، حضر رجال الجيش في عرض عسكرى بديع ليقدموا التهنئة ويجددوا عهد الولاء لقائدهم الأعلى، احتشد رجال الطرق الصوفية بأعلامِهم المميزة يهتفون وينشدون الأغاني.

قبل ذلك بشهور قليلة كانت صافيناز، أو فريدة كما صار اسمها الملكي، قد انتقلت وأسرتها إلى القاهرة لتقيم في قصر شماس بك بمصر الجديدة، استأجره فاروق من مالكه لتقيم به خطيبته وأسرتها بصفة مؤقتة لحين عقد القران. وبالطبع توالت هدايا فاروق، كان أثمنها شبكة العروس، عقدٌ ثمين من الماس الأبيض تمت صناعته خصيصًا في باريس، بلغ ثمنه حوالي سبعة وعشرين ألف جنيه، كما أهدتها نازلي تاجًا ثمينًا في وسطه زمردة نادرة وفي أعلاه ماسة على شكل قلب. وتم الاتفاق مع أحد أشهر بيوت الأزياء الفرنسية لحياكة فستان الزفاف.

وفي القاعة الرئيسية بقصر القبة، توسَّط الشيخ المراغي شيخ الأزهر فاروق ووالد العروس، وأمامهما وقف علي ماهر رئيس الديوان الملكي وسعيد ذو الفقار كبير أمناء القصور الملكية، شاهدا الزواج. وبمجرد كتابة العقد، انطلقت الزغاريد وتم توزيع علب الحلوى المذهبة على المدعوين، وأشرف حسنين بنفسه على توزيع شيلان الكشمير الفخمة على مساعدي الشيخ المراغي، كما قامت نازلي باستقبال معظم الأمراء والنبلاء والوزراء ورجال الدولة الذين تجمعوا في حديقة القصر للمشاركة في الحفل وتهنئة فاروق. وفي حوالي الساعة الخامسة مساءً وقف فاروق في أحد شرفات قصر القبة ينتظر وصول فريدة، وعند وصولها؛ استقبلها ثم صعد بها إلى جناحه الخاص، وبعد عدة دقائق خرجا معًا إلى حديقة القصر للقاء المدعوين.

استمر الاحتفال أربعة أيام كاملة، بعد انقضائها توجه فاروق وفريدة إلى قصر إنشاص ليقضيا أسبوعَين في هدوء الريف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

علت قهقهة مايلز لامبسون، وواصلت قبضته الطرق فوق سطح مكتبه الخشبي، توقف عن مواصلة الضحك فجأة، ثم أخذ يسعل بشدة بينما كان يشير لمساعده هنري؛ ناوله كوبًا من الماء دون أن يفهم سبب نوبة الضحك الهستيرية التي أصابت سفير بلاده. تنهد لامبسون بصوت مسموع، بعدما شرب نصف الكوب دفعة واحدة، قبل أن يقول بصوتٍ لاهث وابتسامة عريضة تملأ وجهه المكتنز:

- عزيزي هنري، أرجوك أعد قراءة الرسالة، أريد أن أستمتع مرة أخرى.

أنهى عبارته ثم استغرق في الضحك من جديد، رفع هنري حاجبيه متعجبًا؛ كانت المرة الأولى التي يرى فيها رئيسه على هذا القدر من المرح، لكنه هز كتفيه قبل أن يرفع الورقة التي بين يديه أمام عينيه قارئًا:

«عاجل وسري للغاية..

من/ الخارجية الإنجليزية

إلى/ السير. مايلز لامبسون

نود أن نحيطكم علمًا بأن فاروق ملك مصر يعاني من مشاكل جنسية، ليست عقمًا، لكنه عرَضٌ ناتج عن خلل في الغدد، ننصح بعرضه على أطباء الجيش الإنجليزي للوقوف على حالته الصحية بدقة.»

واصل لامبسون ضحكه بينما كان يمد يده ليتناول الرسالة، ثم يضع نظارته الصغيرة فوق أنفه الضخم، استغرق لحظات في القراءة قبل أن ينزع النظارة ويتنهد في دهشة:

- أمرٌ عجيب! كيف عرفت الخارجية مثل هذه المعلومة ولم نعرفها نحن؟

صمت هنري لفترة قبل أن يجيب:

- سير لامبسون، نشاطنا في مصر ليس قاصرًا على السفارة، هناك أنشطة أخرى كما تعلم بالطبع، ولابد أن لدينا رجال في القصر.

نهض لامبسون واقفًا ثم عقد ذراعيه خلف ظهره، أخذ يتجول في غرفة المكتب مفكرًا:

- الولد يسقط إذن، وأنا لا أريد له ذلك؛ أريد أن يكون سقوطه على يدي.

انخفض صوته وبدا كأنه يحدث نفسه:

- الولد الصغير يحتاج إلى الإنجليز الآن بعدما طردهم من القصر!.

تنحنح هنري قبل أن يقول:

- لكن سيدي السفير، معلوماتنا تقول أن الملكة حامل!

تهلل وجه لامبسون قبل أن يسأل في لهفة:

- نازلي!

عقد هنري حاجبيه:

- الملكة الصغيرة سيدي، فريدة.

أشاح لامبسون بكفه ثم غمغم بكلمات لم يفهم منها هنري شيئًا قبل أن يسمعه يقول بوضوح:

- البرقية تقول أن الولد ليس عقيمًا، لكنه يعاني من خلل في الغدد يؤثر على قواه الجنسية.

صمت للحظة ثم التفت إلى هنري قائلًا:

- هنري العزيز، هل فهمت؟

هز هنري رأسه عدة مرات قبل أن ينصت إلى صوت لامبسون الذي بدا كأنه يخاطب نفسه:

- لكن لماذا يريدون أن نتولى علاجه! لم لا يتركون الأمر لأصدقائه الإيطاليين الذين يملئون قصره!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اندفع حسين حسني مهرولًا، حتى أنه نسي أن يطرق الباب قبل اقتحامه مكتب أحمد حسنين، الذي اكتفى بأن رفع بصره إليه دون أن ينطق بكلمة، على الفور بادره حسين بحاجته إلى عرض أمر بالغ الأهمية عليه، لكن حسنين رفض بإصرار، أخبره بالذهاب لصديقه علي ماهر؛ كان حسنين على يقين بأن حسين لم يرجح ترشيحه لمنصب رئيس الديوان، بل أيَّد بقاء علي ماهر، على الرغم من وعد نازلي بأن المنصب سيكون له في نهاية المطاف. لم يجد حسين مفرًّا من الذهاب إلى فاروق، وعرض الأمر عليه شخصيًا.

كانت حوادث كتائب القمصان الزرقاء، التي شكَّلَها الوفد على غرار كتائب هتلر وموسوليني، قد تعددت. أخذت تلقي الرعب في قلوب الناس بازدياد، وتكررت اعتداءاتها، وبخاصة على خصوم حزب الحكومة. وكلما ازداد عدد أفرادها وفصائلها؛ تمادت في غيِّها ومشاغباتها، وصل الأمر حد الاعتداء على رجال الأمن ومقارّ البوليس لإطلاق سراح من يُقبَض عليه منهم. ساد الاعتقاد بأن تلك الأحداث إن لم تكن بتدبير من زعماء الوفد ورجال الحكومة فإنها تلقى من الرضا بالسكوت عنها ما يكفي للتشجيع عليها؛ لبسط الإرهاب على البلاد وإخماد كل محاولة لرفع الصوت بالنقد أو المعارضة، كما حدث فعلًا عند هجومهم الدامي على دور الصحف المعارضة وتحطيم أثاثاتها ومطابعها. وبدأت بعض الجهات الأخرى في تكوين فرق من أنصارها من الشباب يرتدون قمصانًا ذات ألوان أخرى، وحدثت مصادمات بينها وبين أصحاب القمصان الزرقاء، مما زاد من احتمالات تفاقم الأوضاع بانضمام عوام الناس كل إلى جانب فريق يميل له، وما قد يؤدي إليه ذلك من فوضى شاملة.

وصل حسين حسني إلى جناح فاروق، لكن أحد الشماشرجية أخبره أن ينتظر، وعندما طال الوقت سأل آخر عن مكان فاروق؛ فأخبره أنه في الحمام!. لحظات وجاءه ثالث، أخبره أن الملك شق عليه طول انتظاره؛ يريده أن يجلس في الغرفة المقابلة للحمام، ويطرح عليه ما جاء من أجله. بدا الارتباك على حسين حسني، لكنه تجاوز ذلك في سبيل الأمر الذي جاء له. وسريعًا عرض من وراء باب الحمام الموقف بدقة، موضحًا احتمالاته ومبينًا مدى خطورة تطوراته، لكن فاروق كان على علم بما يجري؛ فأبدى امتعاضه من موقف الحكومة التي ظهر عليها مؤخرًا أنها لم تعد تقيم وزنًا لما كانت تقضي به التقاليد المرعيَّة من وجوب الرجوع إلى الملك قبل إعلان بعض القرارات، رأى في ذلك استهانة من النحاس بشأنه لصغر سنه، لا سيما أنه كان قد بلَغَه أن النحاس يصرح في جلساته الخاصة أن الملك في جيبه.

«اذهب إلى علي ماهر، سيعرف كيف يتعامل مع النحاس..»

صمت حسين حسني بعد عبارة فاروق الأخيرة، لعلمه أن ذلك قد يشعل المواجهة بين الرجلين، مع الأخذ في الاعتبار بالعداوة القديمة بينهما، وليقينه أن علي ماهر يسعى بشتى السبل للإطاحة بالنحاس، ومع ذلك تحرك لينفذ الأمر الملكي!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف فاروق أمام المرآة يكمل هندامه، كان مزاجه رائقًا عندما ظهر انعكاس صورة فريدة تقف خلفه، بدا عليها التردد لوهلة وقد ظهر بروز بطنها قدرًا قليلًا، ثم استجمعت نفسها حين قالت:

- ستخرج هذه الليلة أيضًا!

رمقها فاروق عبر المرآة قبل أن يقول بهدوء:

- سأذهب إلى مبرَّة محمد علي، هناك احتفال على شرفي.

بدا على فريدة التبرم:

- عند شويكار مرة أخرى!.

التفت فاروق نحوها في حدَّة:

- هل هناك ما يمنع؟!

أطرقت فريدة برأسِها ثم قالت:

- هل زارك الطبيب اليوم؟

بلغ الغضب بفاروق درجة لم يستطع معها تمالك أعصابه:

- لا أحتاج طبيبًا، أنا بخير، اهتمي أنت بصحتك، لا تنسي أنك تحملين ولي العهد.

صمت للحظة ثم قال:

- وأرجو ألا تنسي أني الملك.

غادرت فريدة الغرفة وعلى وجهها الدموع، تجاهل فاروق حزنها وإن لم يتغافل عن معنى سؤالها، كان الأمر ينغِّص عليه أيامه، فرغم أنه يعشق فافيت، لكن حالته المرضية التي فوجيء بها لم تسعفه لإرضائها، حتى تلك العقاقير التي كتبها له الطبيب كانت تعكر مزاجه، ولا يرى لها أي مفعول، بل ربما أنه حين توقف عن المداومة عليها بدا أن حالته تتحسن.

وصل إلى مبرَّة محمد علي في شبرا، وكانت شويكار في استقباله وابتسامتها الواسعة تسبقها:

- أهلًا مولانا، الحفل اليوم مخصص لجلالتك.

نظر فاروق نحوها مستفهمًا، لكنها أجلسته على مائدة تتوسط البهو الفسيح، ثم ارتفع صوتها الحاد:

- مسيو إيزاك، ممكن نبدأ الآن.

على الفور انخفضت الإضاءة، وبدأت أسراب من الفتيات الجميلات، لبنانيات وسوريات وروسيات، في آداء تابلوهات راقصة، كن يرتدين غلالات شفيفة ويشكلن بأجسادهن تكوينًا فنيًا يحاكي اللوحات الفنية الشهيرة فيما يسمى باستعراض الصور الحية. كان فاروق مبهورًا بجمال الأداء، والأجساد بالطبع؛ حتى أنه بعد انتهاء العرض تجاهل وقاره وهيبته؛ انتفض واقفًا يصفق بحرارة. ربتت شويكار على كتفه تهدئه ثم قالت:

- أرى أن مزاج جلالتك ليس على ما يرام.

عاد الغم يرتسم على وجهه قبل أن يغمغم:

- لست مرتاحًا.

تظاهرت شويكار بالدهشة:

- فريدة!

أومأ فاروق برأسه دون أن يجيبها؛ اقتربت منه شويكار هامسة:

- سامحني يا فاروق، أنا أعتبرك عوض ربنا عن إسماعيل الله يرحمه، أخبرتك أنها لا تصلح كملكة.

ارتبك فاروق لوهلة قبل أن يقول متلعثمًا:

- لكن سمو الأميرة، الأمر أن...

قاطعته على الفور:

- لا تُكمِل، أنا أعرف كل شيء، هذه الأمور تحدث بسبب برود المرأة أو عدم درايتها، لا تلُم نفسك يا حبيبي.

نظر فاروق إليها دون أن يرد، ابتسمت تطمئنه ثم صفقت بكفيها المعروقين؛ فأحاطه عدد لم يحصِه من الأجساد الممشوقة بملابسهن الشفيفة، مسحت شويكار بيدها الباردة على خده ثم همست:

- جرب، وستعرف أني محقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس مصطفى النحاس في منزله مهمومًا، لا يصدق ما جرى معه منذ ساعات قليلة، حتى القهوة التي كان يحبها لم يعد لها مذاق في فمه. كان قد ذهب لمكتبه في الوزارة كعادته؛ لمباشرة مهامه اليومية كرئيس للحكومة، إلا أنه فوجيء بمكالمة من القصر تبلغه بضرورة تقديم استقالته، وإلا فسيضطر الملك آسفًا لإقالته!. لم يتخيل أبدًا أن تكون هذه المكالمة حقيقية، ظن أنها مجرد مناوشة صبيانية من تلك التي اعتاد فاروق افتعالها معه؛ هذه هي المرة الأولى التي يخالف فيها الملك التقليد السائد بضرورة الحرص على حيدة العرش والابتعاد عن سياسات المخاصمات الحزبية، وكعادته لم يرضخ للضغط؛ رفض تقديم استقالته، فتمت إقالة الوزارة الوفدية القائمة بالحكم استنادًا للأغلبية، وتم تشكيل حكومة ائتلافية برئاسة محمد محمود.

«استهنت كثيرًا بقدرات علي ماهر..»

حدث نفسه في ضِيق؛ في قرارة نفسه كان موقنًا أن كل ما جرى من تدبير علي ماهر، حقًّا لم يولِ الأمر الاهتمام اللازم عندما نقل له حسين حسني تعليمات فاروق بضرورة متابعة شئون الحكم مع رئيس الديوان الملكي، لم يتصور أبدًا أن يكون تدبيره بهذا الدهاء والإحكام.

لكنه كان مخطئًا؛ فرغم أن وزارته اتخذت سياسة قوية حازمة بشأن ما يجري في العالم من تطورات خطيرة، إلا أن علي ماهر أخذ يصور هذه السياسات أنها ترمي إلى اتباع سياسة النازي في ألمانيا والفاشيست في إيطاليا، كما هوَّل من خطورة تجنيد الأتباع في فرق منظمة، أطلق الشائعات بأنها وسيلة خسيسة من الوفد لبسط النفوذ وقهر وإرهاب الخصوم، رغم أن الأمر كان لا يعدو محاولة لحماية البلاد في حالة نشوب حرب كبرى، تدق نواقيسها في كل أرجاء العالم، وتخلِّي الإنجليز عن حماية مصر أو خسارتهم للحرب المتوقعة. لم يتوانَ علي ماهر عن استغلال الفرصة، عندما سنحت أمامه، وقت أن شبَّ الخلاف بين الحكومة والقصر بشأن تعيين عبدالعزيز فهمي عضوًا بمجلس الشيوخ؛ أطلق قنبلته التي أصابت شظاياها كل أعضاء الحكومة. هذا بالطبع بعد إحكام سيطرته على كل ما يصل لفاروق من معلومات وأوراق؛ فمنذ توليه رئاسة الديوان طرأ تغيير كبير على أسلوب العمل بين الملك وكبار رجال حاشيته، بدلًا من استقباله إياهم كل يوم لعرض ما لديهم من الأوراق والشئون وتلقي تعليماته بشأنها، كما جرت العادة منذ توليه الحكم، وكما كانت تجري كذلك في أيام أبيه، تلقَّى رجال الحاشية أمرًا من فاروق بأن يرفعوا إليه ما لديهم من أوراق ومذكرات يوميًا في مظاريف كبيرة مغلقة، ومعها مذكرات من كل منهم بما يرى لفت النظر إليه، إلا إذا كانت هناك مسائل مهمة تستدعي مقابلة

الملك شخصيًا، فترفع إليه مذكرة عنها لتحديد موعد للمقابلة، وبذلك انقطعت الصلة الشخصية اليومية بين الملك وحاشيته إلا عن طريق المذكرات. ولم يكن من العسير على النحاس معرفة الدافع وراء هذا التغيير؛ فقد كانت عيونه داخل القصر تخبره أن علي ماهر يُردِّد دائمًا أنه لا يرى داعيًا لإرهاق الملك بهذه المقابلات اليومية، وأنه لصالح سياسة القصر يجب أن يتولى رئيس الديوان وحده عرض كل ما يتعلق بها.

وتحت مظلة هذا النظام الجديد، بقيَ رئيس الديوان وحده هو الذي يتمتع بمقابلة الملك يوميًا، لكنه بعد فترة وجيزة خضع بدورِه للنظام الذي ابتدعه، وأخذ يشكو من ضرورة الإلحاح في طلب المقابلة ليظفر بها. وهكذا تحول الأمر إلى التندُّر والسخرية، إلى الدرجة التي دفعت البعض للقول بأن الشماشرجية هم من يدبرون أمور الدولة!. فواقع الأمر كما وصل لعلم النحاس، أن فاروق كان يكلف الشماشرجي، صاحب الدور في الخدمة، بأن يفض المظاريف ويتلو عليه ما بها من أوراق، في حين يكون هو مستلقيًا أو يتناول الطعام أو في الحمام!، وكان في أثناء سماعه يشير أحيانًا بالاستفسار عن أمرٍ فيها قبل البتِّ في أمرها، وأحيانًا كان يكتب تعليماته بيده أو يملي رأيه على الشماشَرجي ليكتبه. رغم ذلك كان فاروق لا يكف عن التذمر والشكوى من إرهاق العمل، يتخذ من ذلك ذريعة للسهر والترفيه عن نفسه مع بطانته الخاصة دون مراعاة بما يليق أو لا يليق بملك، ولما يحدثه ذلك من أثر في نفس البسطاء من الشعب.

«هذا الولد المدلَّل، لا يعرف شيئًا عن أصول الحكم!»

غمغم النحاس بغضب، تذكَّر مكالمته منذ ساعة مع نازلي، التي رغم إنصاتها له طويلًا؛ لكنها اعتذرت له في نهاية الأمر، أخبرته أن ابنها لم يعد يستمع لنصحها، كان يعلم بالطبع سبب ذلك لكنه لم يشأ أن يزيد من جراح المرأة التي يعرفها منذ نعومة أظافرها. حتى حسنين لم يمد له يد العون؛ فحين هاتفه لم يجد لديه ردًا سوى أن علي ماهر هو المتحكم في كل شيء الآن!.

«حسنًا، ربما استهنت بك فيما مضى، لكن كرسي الوزارة لن يدوم لك طويلًا.»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تستمر وزارة محمد محمود طويلًا؛ سرعان ما صدرت إليها أوامر القصر بتقديم استقالتها، وأسندت مسئولية تشكيل الوزارة الجديدة لعلي ماهر. شعر فاروق بارتياح بالغ بعد تولي رئيس ديوانه مقاليد الحكم؛ لاطمئنانه على الأقل لعدم نشوء أي سوء تفاهم مع الحكومة لطول المدة نسبيًا لعمل الحكومة مع الملك، وثقته المطلقة بالرئيس الجديد وعقيدته السياسية. إلا أن الأحداث العالمية كالرياح، تأتي بما لا تشتهي السفن؛ فالعالم كان مشحونًا بنذر حرب عالمية جديدة، لم تلبث أن استعر أوارها بعد غزو هتلر لبولندا، مما حمَل إنجلترا ومن ورائها فرنسا على إعلان الحرب على ألمانيا. استغل لامبسون الفرصة، لم ينتظر إعلان الحرب بين بلاده وألمانيا، بل لجأ قبلها إلى مطالبة الحكومة المصرية بتقديم كافة التسهيلات للقوات البريطانية الموجودة في مصر؛ قامت الحكومة على إثر ذلك بإعلان الأحكام

العرفية، قطعت علاقتها مع ألمانيا ثم قبضت على الرعايا الألمان المقيمين في مصر ووضعت أملاكهم تحت الحراسة، وأخيرًا أغلقت قناة السويس في وجه سفن البلاد المعادية لبريطانيا. لم يكتفِ لامبسون بكل هذه الإجراءات، لكنه أخذ يضغط على الحكومة مطالبًا بإعلان مصر الحرب على ألمانيا!.

استقبل فاروق في مكتبه علي ماهر بوجه متكدِّر، عابس على غير عادته، بادره فور رؤيته:

- هذا السفير الأحمق يرغب في توريطنا بأي طريقة.

تنحنح علي ماهر قبل أن يقول بنبرته المميزة:

- جلالتك لا داعي للقلق، أرسلنا برقية لوزير الخارجية البريطاني عن طريق سفيرنا في لندن.

اعتدل فاروق في جلسته فوق مقعده، بدا عليه التركيز الشديد والإنصات التام حينما أكمل علي ماهر:

- البرقية ملخصها أننا نرى في بقاء مصر على الحياد مزية كبرى لبريطانيا؛ ففضلًا عن إمكان تدفق الإمدادات الحربية على مصر تحت ستار حيادها، يمكن لبريطانيا أن تستورد ما يلزمها من أمريكا.

بدا الارتياح يرتسم فوق ملامح فاروق حين قال:

- عظيم علي باشا!

انتفخ علي ماهر في جلسته حين قال:

- وصلتني الأخبار أن وزير الخارجية البريطاني اقتنع برأينا، وأنه بصدد إرسال برقية إلى لامبسون يطلب منه فيها التوقف عن ممارسة ضغوطه علينا.

قرن فاروق حاجبيه:

- لا أفهم لماذا يريد لامبسون توريطنا في حرب لاناقة لنا فيها ولا جمل!

ابتسم علي ماهر قبل أن يقول:

- جلالتك، يبدو أنه لم ينسَ لنا عزل أمين عثمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضع مايلز لامبسون كأس الكونياك فوق مكتبه، سحب نفسًا عميقًا من سيجاره قبل أن ينفثه ناشرًا سحبًا كثيفة من الدخان، وضع إبهامه الأيسر في جيب صديريته ثم قال مخاطبًا مساعده هنري:

- الآن فرصتنا؛ إيطاليا أعلنت الحرب إلى جانب ألمانيا.

قرن هنري حاجبيه:

- وما علاقة ذلك بوضعنا في مصر، حكومتهم اتفقت مع الخارجية على الحياد مع تقديم كل المساعدات الممكنة.

ضحك لامبسون حتى دمعت عيناه، ثم قال بصوت هاديء:

- عزيزي هنري، أمامك الكثير لتتعلمه، اكتب ما أمليه عليك.

«في ظل التطورات الأخيرة، وانضمام موسوليني إلى هتلر، باتت الأوضاع في مصر مقلقة، خصوصًا مع الأقاويل المنتشرة بأن الملك الصغير يميل تجاه الألمان، لذا ننصح بضرورة الضغط عليه وتغيير الحكومة، وإذا رفض الانصياع نجبره على التخلي عن العرش، ولنا في الأمير محمد علي خير من يساعدنا ونستطيع الاعتماد عليه والثقة به، كما أن اتصالاتنا لم تنقطع مع زعماء الشعب مصطفى النحاس ومحمد محمود وحسين سرِّي، وكلهم موافقون على هذا الرأي. وننصح بتشكيل وزارة برئاسة مصطفى النحاس.. برجاء اعتبار الأمر هام وعاجل.»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الوقت الذي كانت تتوالى فيه الأنباء عن الانتصارات الألمانية، نجاح جيشها في اجتياح بولندا وبلجيكا وهولندا وفرنسا، نجح لامبسون في الحصول على موافقة حكومته بإبعاد علي ماهر من الحكم والقصر معًا، وإمعانًا في التّشفِّي توجه لمقابلة فاروق بنفسه؛ لإبلاغه قرار حكومته، لم يفُتْه بالطبع أن يشير من طرفٍ خفي إلى أن قائد القوات البريطانية في مصر في انتظار معرفة نتيجةِ المقابلة ليعلم مدى استجابة الملك لطلبات إنجلترا، وقبل أن ينهي المقابلة الباردة حذَّر فاروق من اللعب بالنار هذه المرة لأنهم جادون فيما يطلبونه. لم يجد فاروق أمامه مفرًا من الدعوة لاجتماع عاجل دعا فيه عددًا من الزعماء في قصر عابدين لدراسة الموقف وإبداء الرأي.

وعلى غير المعتاد اتفق الجميع على ضرورة إقالة علي ماهر وحكومته، ثم اختلفت الآراء وتعالت الأصوات ـرغم حضور فاروقـ حين اقترح حسنين تشكيل حكومة قومية، كان النحاس أشد المعارضين؛ فعلا صوته بطريقة لافتة:

- حكومة قومية! سامحني حسنين باشا؛ لا أفهم هذا المصطلح.

بهدوئه الشهير رد حسنين:

- يا دولة الباشا، البلد في ظروف استثنائية، ونحن نسعى...

قاطعه النحاس بعصبية:

- ومنذ متى لم نكن في ظروف استثنائية! الوفد حزب الأغلبية، والوزارة حقٌّ طبيعي لنا.

تمالك حسنين أعصابه بعدما لاحظ تبدُّل سحنة فاروق، وقال بنفس النبرة الهادئة:

- دولة الباشا، الأمر يتطلب توافق كل التيارات حتى ترجع الأمور لطبيعتها.

متهكمًا قال النحاس بينما كان يرمق فاروق من طرفٍ خفي:

- كيف أشكل وزارة ثم أديرها وهي تضم وزراءً من المعارضة؟!

كاد فاروق أن ينفجر فيه صارخًا لكن حسنين تدخَّل على الفور قائلًا:

- دولة الباشا، معاليك لديكَ أصدقاء في كل الأحزاب حتى المعارضة، وتستطيع بما تملك من تاريخ وطني وخبرة طويلة أن تُدير من تشاء.

صمتَ النحاس ولم يعلق؛ فاستطرد حسنين:

- يمكنك اختيار من تشاء، لن نتدخل في اختيارك، اختر من تراه أهلًا لثقتك.

نظر النحاس طويلًا إلى وجه فاروق المحتقن ثم رفع ذقنه لأعلى، عدَّل من وضع طربوشه قبل أن ينهض واقفًا، انحنى أمام فاروق ثم استدار مغادرًا:

- حسنين باشا، إما وزارة وفدية، أو ابحثوا عن غيري.

ساد الهرج في قاعة الاجتماع، وأشار فاروق برأسه لحسنين الذي اقترب ثم قال:

- النحاس على تواصل مع الإنجليز جلالتك.

مطَّ فاروق شفتيه في ضيق:

- السياسة لا دين لها.

التزم الصمت لبرهة ثم التفت إلى حسين حسني سائلًا:

- ما أخبار الحرب؟

انحنى حسين حسني حتى اقترب فمه من أذن فاروق:

- الألمان يكتسحون كل شيء! وصلوا إلى ليبيا.

تنهد فاروق تنهيدة طويلة قبل أن يقول:

- أرسل برقية عاجلة لسفيرنا في إيران؛ أخبره أن يطلب من الشاه التوسط لدى هتلر، واكتب مرسومًا ملكيًا بتكليف حسن صبري بتشكيل الحكومة الجديدة.

رفع حسين حسني حاجبيه في دهشة، وقبل أن يعقِّب كان فاروق قد التفت إلى حسنين قائلًا:

- مبروك حسنين باشا، أنت رئيس ديواني الجديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فاجأ القدر حسين سري؛ فأهدى له الوزارة تجرجر أذيالها بينما لم يكن يتوقع أحد تقريبًا. فبعد انتهاء الأزمة الأخيرة بتكليف حسن صبري، وتشكيل الحكومة القومية الجديدة، لم تمضِ سوى شهور قليلة حتى وافاه الأجل المحتوم، فبينما كان يلقي خطابه الأول في افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة، تهدَّج صوته، سقط الورق من يده ثم تهاوى جسده، وسقط ميتًا على الأرض. ورغم الدهشة والتساؤلات التي كانت تسيطر على كل المحيطين بأوساط القصر من اختيار حسين سري، إلا أن حسنين وأد كل هذه الاستفهامات في مهدها حين صرَّح بأنه اختاره حتى يستطيع تسييره حيث يريد!.

ولم يكن ما حدث بعدها كما قدره حسنين؛ فحسين سري كان خير من يريده ويتمناه لامبسون في تلك الظروف، حين تطوع بتقديم طلب عزل الملك فمنحه حجة يعتمد عليها لدى حكومته، وهي أن طلب العزل تقدم به بعض الزعماء. بدأ فاروق يلمس أن حسين سري ليس سوى ذراعًا جديدة للامبسون، يستخدمها كيفما شاء؛ فعادت للسطح من جديد الأزمة السياسية المعتادة، تغيير الحكومة.

كان فاروق في جناحه الخاص بقصر عابدين، يجلس منتظرًا في قلق قدوم حسنين وحسين حسني، ما أن رآهما حتى بادرهما:

- لامبسون لا يريد التوقف عن ألاعيبه!

رد حسنين على الفور:

- ليس أمرًا جديدًا يا مولاي.

تنحنح حسين حسني قبل أن يقول بتأدب:

- معذرة يا مولاي، لكن ظروف البلد تستدعي حكومة قومية.

نظر فاروق نحوه طويلًا دون أن يرد؛ فاستطرد:

- الواجب الوطني يحتم على زعماء الأحزاب أن يتضامنوا ويقفوا صفًا واحدًا.

رد فاروق باستياء:

- يتضامنوا! إنهم لا يجدون حرجًا في التفاهم مع المحتل الأجنبي ضد بلادهم.

تدخل حسنين بهدوء:

- لكن الأحوال تتبدل الآن يا مولاي، ربما لن يبقى المحتل في موقعه، ربما يتبدل أو ربما ننجح في التخلص من الاحتلال وتحرير البلاد.

قرن فاروق حاجبيه:

- وكيف ذلك؟!

أردف حسنين:

- إذا انتصر الحلفاء تكون البلاد صوتًا واحدًا، نطالب بإصلاح عيوب المعاهدة والخلاص من الاحتلال.

تساءل فاروق:

- وإذا هُزِموا!

ابتسم حسنين:

- عندها يجب توحيد صفوفنا لمنع الوقوع في احتلال جديد، أو على أقل تقدير تجنيب البلاد ما يمكن من ويلات الحرب.

أومأ فاروق برأسه عدة مرات قبل أن يقرن حاجبيه من جديد:

- اقتراح وجيه، لكنه صعب التنفيذ.

تدخل حسين حسني:

- لكنه يستحق المحاولة على الأقل جلالتك.

نهض فاروق واقفًا قبل أن يقول:

- إذن لابد من إقالة حسين سري.

غادر حسنين وحسين حسني الجناح الملكي الخاص، وقبل افتراقهما كل لمتابعة شئونه، اقترب حسنين من الأخير هامسًا:

- مصطفى أمين سيمر عليك في المكتب، الأمر خطير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجاوزت الساعة العاشرة مساءً، هدأت الحركة في القصر إلى حد كبير، إلا أن القلق كان ينشب مخالبه في صدر حسين حسني؛ لم يفهم السبب من طلب حسنين الغريب أن يقابل الصحفي مصطفى أمين، فإذا كان الأمر هامًّا، فلماذا لم يقابله هو؟! وإذا عرف حسنين طبيعة الموضوع فلماذا لم يحاول حله هو؟! انتبه على صوت طرقات مهذبة على باب غرفة مكتبه، لحظات وظهر أمامه مصطفى أمين بجسده الضخم ورأسه الأصلع، كان وجهه متجهمًا، تبدو عليه علامات القلق وقليل من التردد. جلس مصطفى أمين أمام المكتب ثم قال على الفور:

- عذرًا حسين بك، لم أكن لأزعجك لولا إصرار حسنين باشا على إبلاغك.

تجاهل حسين هذه الملحوظة، كان يعلم أنه يجلس أمام صحفي مخضرم له علاقات متشعبة وقوية مع أوساط مختلفة، اكتفى بابتسامة مشجِّعة للبدء في الحوار؛ فأردف مصطفى أمين:

- تعلَّم أن لامبسون لا يترك أي فرصة أو أزمة حتى يستغلها لتشويه صورة جلالة الملك.

أومأ حسين برأسه، فأضاف مصطفى أمين:

- يحاول إقناع حكومته بأن الملك يتشدَّد معهم في إجابة طلباتهم.

صمت للحظة، نظر في عينَي حسين قبل أن يقول:

- علمت من مصادر أثق بها كل الثقة، أن السفير يدبِّر أمرًا جللًا.

اعتدل حسين حسني في جلسته، دون أن يعلِّق، ومضى مصطفى أمين يقول شارحًا:

- الأزمة الحالية؛ تغيير الحكومة ورغبة جلالته في تشكيل حكومة قومية، لامبسون يرغب في إجبار مولانا على تعيين النحاس باشا.

عقَد حسين حسني حاجبيه:

- لكن مولانا سبق وعرض الوزارة على دولة الباشا، لكنه رفض!

هزَّ مصطفى أمين رأسه:

- رفَضَ وزارة قومية، لكنه سيقبلها وفدية.

خرجت الكلمات من حسين حسني تحمل قدرًا من الدهشة:

- لكن هذا ليس بالوقت المناسب لهذه الترهات.

بإصرار قال مصطفى أمين:

- صدقني حسين بك، لامبسون اجتمع اليوم مع كبار القادة البريطانيين، اتفقوا على إجبار مولانا بقبول النحاس ولو احتاج الأمر للقوة أو إلى عزل جلالته!

حاول حسين حسني تمالُك أعصابه قدر استطاعته:

- لكن هذا تدخُّل سافر في الشأن الداخلي، ومخالف للمعاهدة!

صمت مصطفى أمين قليلًا قبل أن يقول:

- مع الأسف، نجح في الحصول على تفويض من لندن، يخوِّله مطلق الحرية في فرض الحل الذي يراه.

أنهى حسين حسني المقابلة بعدما شكر مصطفى أمين في عُجالة، ثم عرَّج على مكتب حسنين؛ عازمًا على معاتبته على التأخر في إبلاغ فاروق بهذه المعلومات الخطيرة، وفور أن فتح باب مكتبه، وقبل أن ينطق بحرف واحد فوجيء بصوت حسنين المتوتر على خلاف عادته:

- حسين سري استقال.

تسمَّر حسين حسني في مكانه، لكن حسنين لم يمهله حين أردف:

- السفير منحنا مهلة حتى السادسة من مساء الغد لدعوة النحاس لتشكيل الوزارة؛ وإن لم نفعل سيحمِّل مولانا تبعات ما سيحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«كنتُ أرى أن أيَام الشدة يجب أن تعلمنا أن ننسى أشخاصنا ونكون كلمة واحدة؛ فما من خيرٍ أصاب هذه الأمة إلا وهي متحدة..»

رغمَ مرور أكثر من ساعة على فجر هذا اليوم، إلا أن الشمس كانت تستحي أن تشرق، غيوم فبراير التي تجمعت في السماء ساعدت على زيادة الشعور بالكآبة والعجز لدى كل من كان مستيقظًا هذا الصباح. كان حسنين جالسًا في غرفة مكتبه بقصر الدقي، يدخِّن بشراهة، لم يغمض له جفن منذ البارحة، عقله لا يهدأ، لم يتوقف عن العمل لحظة واحدة منذ استلامه إنذار السفير البريطاني، لا يجد حلًا لهذه المعضلة، خصوصًا مع علمه برد فعل فاروق المتوقع. انتبه على خطوات خافتة عند الباب، سمع بعدها صوت نازلي تقول في رقة:

- أحمد، لم تنَم منذ البارحة!

أطفأ سيجارته قبل أن يقول:

- وكيف يأتي النوم، الوضع ليس جيدًا هذه المرة.

اقتربت منه ثم وقفت وراءه، أحاطت رقبته بذراعيها:

- ستجد حلًا مثل كل مرة.

أزاح ذراعيها برفق:

- ليس هذه المرة يا نازلي، لامبسون يريد أن يمرمغ أنفنا في التراب.

مسحت نازلي بكفها على خده:

- أحمد أرجوك، لا تترك فاروق وحده، تعلم مدى عناده.

رفع رأسه نحوها، رماها بنظرة طويلة دون أن ينطق، فهمت معنى نظراته فأردفت:

- أرجوك، فاروق يحتاجك الآن أكثر من أي وقت.

بدا الغيظ في صوته حين قال:

- وماذا أفعل! اتصلت بالسفارة أمس، لكن هذا البارد المغرور رفض التحدث معي.

على الفور قالت نازلي:

- إذن دع فاروق يقبل طلباته.

أشاح بكفه:

- تعرفين ابنك جيدًا.

أسندت رأسها على كتفه:

- أحمد أرجوك، اقنعه، لن يقف معه أحدٌ سواك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساد القلق والترقب أجواء القصر الملكي، لا سيما بعد صدور التعليمات من أول النهار بألا يبرح أحد مكانه، بدأت الأنباء تتسرب بشأن ما يجري والموقف المتأزم مع المندوب السامي البريطاني. فجأة علا أزيز الدبابات وهدير المصفحات خارج الأسوار، هرول الجميع في فزع إلى النوافذ المطلة على الشارع لمشاهدة ما يحدث؛ الإنجليز يحاصرون القصر بدباباتهم وعرباتهم المصفحة!. تسمّر الجميع في أماكنهم بعدما شلتهم الصدمة، إلا فاروق وحسنين، كانا في غرفة المكتب ينتظران ما ستسفر عنه الأحداث. اتصل فاروق بقائد الحرس وأبلغه بتفادي الاشتباك مع القوات الإنجليزية؛ ضنًا بأن يصاب أحد رجال الحرس بسوء، ثم أخذ يدور حول نفسه كأسد حبيس. اقترب حسنين منه قائلًا:

- اهدأ يا مولاي، لا تمكِّنهم منك.

صاح فاروق بغيظ:

- كيف أهدأ والإنجليز يحاصرون قصري!.

في تلك الأثناء كان لامبسون ومعه جنرال ستون ـقائد القوات البريطانيةـ قد نجحا في اقتحام القصر بالقوة، بعدما حطمت دبابة بوابته الرئيسية، خلفهما عدد من

الضباط شاهرين مسدساتهم!. حاول بعض موظفي القصر التحدث معهم، أو حتى السير إلى جانبهم، لكن لامبسون نحاهم جانبًا بعنف، وأخبرهم ساخرًا إنه يعرف طريقه جيدًا. قصد إلى مكتب الملك، يتبعه رجاله المسلحين، وفاروق مازال مستغرقًا في نقاشه مع حسنين:

- أنا أحقق مطالب الشعب، لا يمكن أن يتخلوا عني! الشعب يكره الإنجليز يا حسنين.

- مولاي صدقني، النحاس ليس سهلًا، اسمح للعاصفة أن تمر دون زعزعة عرشك.

- والشعب يا حسنين!

- مولاي! اسمعني أرجوك، وأقسم بشرفي أن أنتقم لك.

توقف فاروق لحظة مفكرًا بحزن ثم سأل:

- لم تظن لامبسون اختار النحاس دون غيره!

- طمعًا في شعبية الوفد بالطبع.

ندَّت عن فاروق ضحكة عصبية قبل أن يقول بمرارة:

- وهل غاب ذلك عن زعيم الأمة؟!

فجأة انفتح الباب بعنف وهمجية، اقتحم لامبسون ورجاله الغرفة، لم يبدُ على فاروق أي رد فعل، بينما تقدم حسنين خطوتين ليقف أمام ملكه، يحول بينه وبين المقتحمين. صفَقَ أحد الضباط الإنجليز الباب ثم وقف خلفه كأنه يحرسه، كأنه في مهمة عسكرية لاحتلال أحد المواقع الاستراتيجية. ودون استئذان، جلس لامبسون على أحد المقاعد، نظرات التشفي تقفز من عينيه، وضع ساقه اليمنى فوق اليسرى قبل أن يقول بعنجهية واضحة:

- جلالة الملك، عذرًا على هذه الطريقة، لكن مصلحة بريطانيا فوق أي اعتبار.

رمقه فاروق شذرًا، وبادر حسنين بالحديث:

- سير لامبسون، ما لزوم كل هذه القوات؟! أنت مُرحَّبٌ بك على الدوام.

وقبل أن ينطق لامبسون، خرج صوت فاروق متحديًا:

- ربما يستعد لحرب روميل في العلمين!

رماه لامبسون بنظرة مغتاظة، لكن بروده الإنجليزي انتصر على غيظه:

- جلالة الملك، هذه القوات لم تأتِ لإظهار القوة، ولكن لتنفيذ مهمة.

استمر فاروق في تحديه:

- وفِّر ذخيرتك لقتال الألمان، معركتك ليست معنا.

تدخَّل حسنين على الفور لتهدئة الموقف:

- سير لامبسون، لا توجد مهمة؛ أوامرنا صدرت لجميع القوات بعدم التحرك.

وبنفس الغطرسة والبرود استمر لامبسون مخاطبًا فاروق:

- أصدِر أمرك الملكي إلى النحاس ليشكل الوزارة.

هتف حسنين محتدًا:

- سير لامبسون! هذا اعتداء صارخ على السيادة المصرية.

بهدوءٍ مستفز كرر لامبسون:

- جلالة الملك، أصدِر أمرك الملكي.

لم يتمالك فاروق أعصابه:

- تريد النحاس، هو لك!

ابتسامة متشفية ارتسمت بوضوح على وجه لامبسون حين أخذ يهز رأسه راضيًا، وخرج صوت حسنين مبحوحًا حين سأل:

- سعادة السفير، وإذا رفض النحاس؟

مطَّ لامبسون شفتيه:

- لن يرفض.

خرجت الكلمات من بين شفتي فاروق تحمل كل مشاعر القهر والهزيمة، ويده توقع على الأمر الملكي:

- يبدو أنك تعرفه أكثر منا.

علت ضحكة لامبسون فجز فاروق على أسنانه:

- سير لامبسون، أعتقد أن مهمتك هنا انتهت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«عاشَت مصر حرة مستقلة..»

احتشد الأنصار في كل مكان، جماهير غفيرة تجمَّعت في مظاهرة حاشدة، دوَّت الهتافات، شقت سماء القاهرة منادية باستقلال مصر وحريتها، وهتافات أخرى رددت عبارات معادية للاحتلال، لكن الوضع لم يستمر على هذا النحو طويلًا؛ انضم إلى المظاهرة عناصر جديدة، مدربة، فانقلبت الأوضاع تمامًا. انتشر المأجورون وأصحاب الهتافات المحترفين يطوقون المظاهرة، هتافهم كان ضعيفًا غير مسموع في بادىء الأمر، لكن ما أسهل خداع رجل الشارع، وما أيسر جذب العامة من الشعب؛ تحولت الهتافات إلى التغني ببطولات الوفد والنحاس زعيم الأمة.

لم يرَ النحاس في ذلك أنه يتولى الحكم على أسنة الحراب البريطانية، وبقوة الدبابات والمصفحات الإنجليزية، بل إنه لم يرَ في ذلك ما يمنع دون إشاعة الابتهاج بين أنصاره والاعتزاز بما نال من فوزه بالحكم؛ فوقف في إحدى شرفات مبنى الوزارة ملوِّحًا بيده في سعادة، يرد على تحية المحتشدين مبتسمًا.

«عاش الوفد.. عاش النحاس زعيم الأمة..»

اخترقت سيارة لامبسون مع سيارة أخرى للحراسة الحشود المتظاهرة، كان الرجل ينظر إلى فرحتهم في سعادة، ويستمع لهتافاتهم في نشوة، توقفت أمام مبنى الوزارة قبل أن ينزل منها لامبسون، وقف قليلًا متأملًا الوجوه التي امتلأ بها المكان، علامات الانتصار ارتسمت على وجهه الإنجليزي المتكبر مع ابتسامة ماكرة شقت لنفسها طريقًا بين التجاعيد، ثم أخذ يلوح بعلامة النصر في سرور.

«عاش مستر تشرشل.. عاش مستر لامبسون..»

استولى الحماس على المتظاهرين، توقفوا عن الهتافات، واندفع بعضهم نحو لامبسون الذي داس على سيادة بلدهم وهزأ بكرامته، حملوه على الأعناق!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على مقعدٍ وثير في الجناح الملكي الخاص، جلس فاروق مهمومًا؛ فمنذ حادث حصار القصر بالدبابات افتقد الرغبة في التواجد بمكتبه، رأسه كان مطرقًا تجاه الأرض، تلون وجهه بلون أحمر قان، وظهر السواد أسفل عينيه، ومن حوله كان يقف حسنين وعمر فتحي وحسين حسني الذي كان قد أبلغه منذ لحظات بتقرير وافٍ عمَّا حدث أثناء احتفال النحاس بتولِّيه الوزارة. رفع بصره ورأسه إلى أعلى قَبل أن يقول بحزن:

- لا أصدق!

قال حسين حسني بصوتٍ خفيض:

- مولاي! الأمر بأكمله كان عبثيًا.

هتف عمر فتحي غاضبًا:

- كيف يحمل الناس أعداءهم فوق الأكتاف؟!

ابتسم فاروق ولم يعقِّب، بدا شاردًا مغتمًا، خرج صوت حسنين حادًا على غير عادته:

- النحاس هو من رتب لهذه المظاهرة.

ضحكة خافتة صدرت عن فاروق حين قال:

- يهتفون للنحاس والوفد أمر مفهوم، لكن هتافات بحياة تشرشل ولامبسون!

علت ضحكته حتى صارت قهقهة عالية، قبل أن يلتزم الصمت لفترة ثم يقول بمرارة:

- لم أعد أعرف كيف أحكم شعبًا يحمل محتله على الأعناق!.

جز حسنين على أسنانه:

- مولاي، لدي خطة للانتقام من لامبسون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ومنذ تولت الوزارة الجديدة، انصرف همها والإنجليز معها إلى تعزيز شعبيتها لإثبات أنها ما دامت في الحكم، فإن تأييد وولاء أغلبية الشعب حقيقة لا مراء فيها، مضت في اكتساب الأنصار، اتبعت سياسة الإغداق على المحاسيب والتنكيل بالخصوم، لكنها ذرًا للرماد، وللرد على اتهامها بالتواطؤ مع الإنجليز، حرصت على كتابة خطاب إلى لندن لإثبات أنها لا تقر تدخل بريطانيا في الشئون الداخلية لمصر، وكأن ما حدث منذ أيام قليلة كان خيالًا أو افتراء!. في نفس الوقت لم يتوقف لامبسون عن إشاعة الأقاويل عن كراهية فاروق للإنجليز وبغضه لهم، حتى أنه قلما يسمح بمقابلة أحد من كبار الإنجليز الذين يمرون بالقاهرة.

فكان الرد العملي على ذلك هو تنفيذ الخطة التي وضعها حسنين؛ فبعد أحداث ٤ فبراير المؤسفة، كان أكثر ما يشغل الأذهان هي الصورة الشاذة الغريبة التي بدت عليها العلاقات بين القصر والحكومة، كان كل منهما يشعر بالحذر، بل الشك فيما وراء أي نشاط يبديه الطرف الآخر، فلقد رأى القصر كما رأى أقطاب السياسة في مصر إصرار النحاس على إهدار كرامة العرش، وتكونت لديهم القناعة بأن السفير ما كان يجرؤ على جر بلاده إلى اتباع هذا المسلك العنيف لولا تفاهم أو اتفاق مسبق مع النحاس، ولا شك أن الإنجليز بتأييدهم الوفد إنما كانوا يستهدفون كسب تأييد الأغلبية التي تسانده، لكن استخدام السفير للقوة على الوجه الذي حدث أثار نفور القادة الإنجليز أنفسهم، وأثار غضب الكثيرين من أحرار الإنجليز، وهذا بالضبط كان ما بنى عليه حسنين خطته المحكمة؛ ضرب مصداقية السفير لدى الإنجليز، تعزيز شعبية فاروق لدى الشعب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل حسين حسني إلى مكتب فاروق، وجده واقفًا مع حسنين يتضاحكان بصوت مرتفع، اقترب بأدب شديد ثم انحنى، مد يده بمجموعة من الأوراق ناحية فاروق الذي كان يلهث من كثرة الضحك:

- يا حسين! هل هذا وقت الأوراق والتقارير؟!

تنحنح حسين ثم خطف نظرة إلى حسنين قبل أن يقول:

- عفوًا مولاي! لكن هذا برنامج إحياء ليالي شهر رمضان كما أمر حسنين باشا.

هز فاروق رأسه، تناول الأوراق وأخذ يتطلع إليها لفترة ثم ألقاها فوق المكتب، التفت مخاطبًا حسين:

- لا تضيع وقتي يا حسين، أخبرني بالملخص.

تدخل حسنين:

- لعل مولاي يذكر خطتنا في التعامل مع لامبسون والنحاس!

خبط فاروق بقبضته فوق سطح المكتب وعاودته نوبة الضحك من جديد، وحسنين يراقبه مبتسمًا بينما حسين لا يفهم شيئًا مما يجري، تنهد فاروق طويلًا قبل أن يسأل حسين:

- كنتَ مُعترضًا على فكرة ذهابي للأوبرج يا حسين، أليس كذلك؟

- العفو يا مولاي! لكنها فقط سابقة في تاريخ القصر أن يذهب مولانا إلى ملهى.

- أخبره يا حسنين، أخبره.

ابتسم حسنين وخرج صوته هادئًا:

- منذ يومين وعندما كان مولانا في الأوبرج، وجد عند بابه شابين من الضباط الإنجليز في حيرة لعدم وجود تاكسي، دعاهما إلى الركوب معه فقبلا شاكرَين، وفي أثناء الطريق سألاه عن شخصيته، فلما أخبرهما إنه الملك فاروق ضجَّا بالضحك؛ ظنا أنها دعابة أو تأثير الإفراط في الشراب. قال أحدهما إنه اللورد مونتجومري وقال الآخر إنه الجنرال ويلسون، فشاركهما مولانا الضحك إلى أن وصلا الفندق الذي يقيمان فيه حيث تركهما مودعًا، لكن بعض من شاهدوه أثناء انصرافه عرفوه، لذلك سألوا الضابطين عن كيفية تعرفهما بالملك.

توقف عن استكمال الحكي حين خبط فاروق على المكتب ضاحكًا مرة أخرى، لكنه سرعان ما أشار له باستكمال حكيه:

- اليوم، كان الضابطان منذ الصباح الباكر أمام بوابة القصر؛ يرغبان في تقديم الشكر والاعتذار لمولانا.

ابتسم حسين حسني قائلًا:

- حسنين باشا! أعرف بالطبع الخطة التي تم التوافق عليها، وأن هدفها إظهار كذب لامبسون فيما يدَّعيه عن كراهية مولانا للإنجليز، وبالتالي ستكون سببًا في تحسين صورته أمامهم ووقف دعمهم لسفيرهم، لكني فقط أخشى من استغلال موضوع السهر لتشوية صورة مولانا.

- لابد من ظهور مولانا في الأماكن التي يحتمل أن يتصل فيها بالأفراد العاديين، لا سيَّما رجال الجيش البريطاني، حتى يعرفوه على حقيقته، ويتيقنوا أنه إذا كان هناك نفورٌ من جانب مولانا؛ فهو من تصرفات السفير وليس من إنجلترا ذاتها أو أهلها.

تدخل فاروق منهيًا الجدل:

- أنا مع حسنين في الرأي، وأرى أننا حققنا نتيجة مرضية حتى الآن.

ثم أطال النظر إلى حسنين قائلًا:

- ولكن ماذا سنفعل مع النحاس؟!

ابتسم حسنين قبل أن يقول بهدوئه الشهير:

- هذا ترتيبٌ آخر يا مولاي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحًا، وفريدة ما زالت مستيقظة؛ طار النوم من عينيها بعدما عاد فاروق من سهرته متأخرًا كعادته. فوجئت به داخل جناح نومها الخاص دون استئذان، بخلاف عادتهما، خلع ملابسَه بالكامل ثم ارتدى روبًا حريريًا، رمى جسده الضخم فوق سريرها ثم سريعًا استغرق في نوم عميق، وصوت شخيره يكاد يشكل معزوفة من النشاز المزعج. حاولت أن تتجاهلَ صوت شخيره كما حاولت لسنوات عديدة تجاهل سهراته ونزواته التي كانت تعلم أن غايتها إثبات فحولته لاغير، بينما كانت هي وحدها من تعلم وتعاني مرارة الحقيقة، غادرت السرير بغضب حين تذكرت أنها لم تكن تتخيل أبدًا أن تكون هذه حياتها عندما تصبح ملكة مصر! كانت الأحلام الوردية ترفرف فوق خيالها الغض وقت أن قابلت فاروق، تصورت نفسها معه في جولات لا تنتهي بطول مصر وعرضها فوق حصانه الأبيض، حبٌّ وغرام لا ينتهيان للحظة واحدة، ذرية كبيرة ترث العرش من بعده. أفاقت من خيالاتها على صوت شخرة طويلة خرجت من فم فاروق المفتوح للنصف تقريبًا، التفتت ناحيته مغتاظة، كان نائمًا على ظهره، وبطنه الضخم يكاد يخفي وجهه. اقتربت منه ثم هزت كتفه بحدة:

- فاروق، فاروق!

فتح عينَيْه بتكاسل شديد، أخذ يُخنفِر للحظات قبل أن يقول:

- فافيت! ماذا حدث؟

رمقته فريدة بغيظ:

- ماذا حدث! لا أستطيع النوم.

تأفف بصوت مسموع، ثم أشاح بكفه قبل أن تخرج الكلمات ممطوطة حين تثاءب قائلًا:

- ستنامين، استكيني قليلًا وستنامين.

أنهى عبارته ثم استدار للناحية الأخرى؛ راغبًا في استكمال نومه، لكنها وكزته في ظهره:

- من فضلك! اذهب إلى جناحك.

بدأ الغضب يشتعل في صدر فاروق:

- تعرفين أني عندما أقلق لا أستطيع النوم مرة أخرى.

- لست مهتمة.

اعتدل فاروق جالسًا بعدما أيقن أنها لن تتركه ينام:

- هذه ليست تصرفات ملكة! لقد تجاوزتِ حتى ما قد تفعله امرأة من عامة الشعب.

صاحت في وجهه بسخط:

- ليتني لم أصبح ملكة، على الأقل كنت سأشعر أني امرأة.

فهم فاروق جيدًا ما ترمي إليه بجملتها الأخيرة، نهض غاضبًا، كوَّر قبضته وأفكار قديمة بضربها تداعت في عقله، لكنه تمكن من كبح جماح نفسه؛ غادر الجناح مبرطمًا بعبارات سباب غير واضحة، وانهارت فريدة فوق السرير باكية، ثم أمسكت بوسادة لتلقى بها على الحائط القريب.

ارتدى فاروق ملابسه في عجالة، عزم على مغادرة القصر بعدما أذهب الغضب ما بقي في نفسه من رغبة في النوم. وكعادته حين يرغب في الاختلاء بنفسه تحرك خلسة دون أن تنتبه حراسته، ركب سيارته المرسيدس التي أهداها له هتلر وقت زفافه على فريدة، انطلق من باب قصره الخلفي غاضبًا، لم يكن في ذهنه مكانًا يقصده في مثل هذا الوقت، قادته الأقدار إلى طريق الإسماعيلية. مارس هوايته الأثيرة؛ القيادة بسرعة كبيرة، وكلما تصارعت الأفكار في رأسه، كلما ازدادت قدمه ثقلًا على دواسة البنزين. كان حزينًا ساخطًا على كل شيء؛ لم يفهم أبدًا سبب سوء بخته مع النساء، فريدة التي كان يحسبها ملاكًا، ها هي الآن تعايره! حتى أمه لم تحسب له أي حساب، ولولا زواجها السري من حسنين لكانت الفضيحة هي مصير العائلة الملكية. ربما كان العرش هو لعنته في هذه الحياة؛ فرغم أنه ملك، إلا أن ذلك كان سبب شقائه وتعاسته.

تيارٌ باردٌ تسلل من النافذة المفتوحة، لامس وجهه المحتقن، أشعره بشيء من الانتعاش؛ زاد من سرعة السيارة، بدأت ملامح الطريق على الجانبين تختفي من السرعة المذهلة التي كانت السيارة تنطلق بها. تمنى لو عادت به الأيام إلى الوراء، تذكر كيف كان يصحو من النوم حين كان طفلًا! الفرقة الموسيقية مُصطَفَّة أسفل نافذة غرفته بقصر عابدين، يتطلعون إلى شرفته ينتظرون موعد استيقاظه كل صباح، سواء هطلت الأمطار فوق رؤوسهم شتاءً، أو لسعت الشمس جباههم صيفًا، دائمًا حاضرون، يعزفون حتى يصحو ولي العهد، مقطوعات من الموسيقى العالمية. ترددت في عقله موسيقى موسارت وبيتهوفن، وحين يبدأ النعاس في مفارقته تهزه مربيته الإنجليزية ليقوم ملوِّحًا لهم، فيرحلون وسط الممرات العريضة لحديقة القصر التي تحيطها الأشجار وتفرشها بلاطات الرخام المنقوشة. وفجأة..

اعترضت سيارة نقل طريقه، بعدما خرجت بسرعة من معسكر للجيش الإنجليزي على جانب الطريق، شلَّت الصدمة فاروق للحظة، لكنه تمالك نفسه وضغط بقدمه على الفرامل بقوة، إلا أن ذلك لم يحُل دون ارتطام السيارتين. كان الارتطام قويًا للدرجة التي طرحت فاروق خارج السيارة أرضًا، بدأ الناس يتجمعون بسرعة فور رؤيتهم للحادث المروع، نزل ضابط إنجليزي ومعه بعض الجنود الذين أصيب بعضهم، هرع الجميع لإنقاذ قائد المرسيدس الذي لا يعرفونه. على الفور وصلت سيارة إسعاف تابعة للجيش الإنجليزي، حملت المصابين وانطلقت بسرعة حتى توقفت أمام المستشفى الخاص بالمعسكر. وحين بدأوا بصعوبة في إنزال جسد

فاروق الضخم، تسمَّر ممرضٌ مصريٌ في مكانه، تأمَّل وجه فاروق وعينيه المغمضتين لفترة قبل أن يصيح:

- يا للمصيبة؛ إنه مولانا الملك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«حادثٌ أليم أصابنا جميعًا من جنوب السودان وحتى شمال مصر، لكن عناية الله كانت هي الحافظة لحياة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ملك مصر والسودان، هذا وقد صرح د.الكفراوي باشا بأن جلالة الملك سلمه اللهـ لا خطورة عليه، وإنما يعاني من شرخٍ في الحوض وهو أمر يسير العلاج وإن كانت الزيارة ممنوعة في الوقت الحاضر، هذا وقد زحفت جماهير الشعب وكبار رجال الدولة والأعيان والعمد والمشايخ وأحاطوا بالمنطقة كلها وهم يهتفون بحياة الملك ويدعون الله له بالسلامة.. هذا وسوف نوافيكم بما يصل إلينا من أنباء..»

بالقرب من مدينة القصَّاصين، ظل فاروق في أحد مستشفيات الجيش البريطاني ثلاثة أسابيع كاملة، نجا خلالها من الموت بأعجوبة بسبب شبابه وقوة بنيانه. ولأن المستشفى لم يكن يضم سوى أطباء إنجليز، تم انتداب طبيب مصري متخصص يعمل في سلاح البحرية للإشراف على علاج فاروق، الدكتور يوسف رشاد. كان قويًا مفتول العضلات، وهي صفات كانت مطلوبة لمن يتولى الإشراف على علاج فاروق، الذي كان في حاجة بالفعل إلى من يحمله من السرير ليضعه فوق كرسي ممدود نهارًا، ثم يعيده مرة أخرى إلى السرير ليلًا. ولأن مظاهر السمنة والبدانة كانت قد ظهرت على فاروق، فقد كان في حاجة فعلًا إلى طبيب مثل يوسف الذي أدى مهمته الشاقة ببراعة وسهولة أراحت فاروق، ومكافأةً له، أمر فاروق بنقله من سلاح البحرية إلى القصر ليصبح واحدًا من أفراد حاشيته!.

لم يكن يوسف وحده هو الذي استولى على إعجاب فاروق، فقد شاركته في هذا الإعجاب أيضًا زوجته ناهد، كانت سيدة صغيرة شقراء ذات عينين سوداوين لهما بريقٌ لافت، من أصل شركسي، وكمعظم نساء الشركس كانت فاتنة جميلة، قرر فاروق أن يلحقها بالقصر لتصبح وصيفة شقيقته فايزة.

هكذا تغيرت حياة يوسف رشاد، في يومٍ وليلة؛ أصبح واحدًا من حاشية فاروق يرافقه في معظم رحلاته وتحركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطقسُ كان جميلًا في الفيوم هذا اليوم، منذ الصباح الباكر توجه فاروق وحاشيته رفقة عدد من أعضاء نادي الصيد الملكي إلى بحيرة قارون؛ فليلة البارحة شعر فاروق برغبة ملحة لصيد البط!. ورغم تميُّز رفقائه في الرماية، إلا أن فاروق أيضًا كان راميًا ماهرًا؛ استطاع في هذا اليوم أن يُسقِط عددًا كبيرًا من البط. تجمعوا كعادتهم في الاستراحة الملكية بعد نهاية يومهم الطويل؛ يحصون غنائمهم. كان فاروق أكثرهم تباهيًا وسعادة؛ كونه صاحب أكبر صيد في هذا اليوم. تبادل التهنئة مع حاشيته قبل أن يتنهد قائلًا، وهو يشير إلى البط الملقى على الأرض:

- وددت لو كان هذا البط رجالًا!

سمع الحاضرون عبارته وسادهم صمت ممزوج بدهشة، قطعه صوت يوسف الخافت:

- أيُّ رجالٍ تقصد يا مولاي!

ضحك فاروق هاتفًا بمرح:

- هذه البطة الكبيرة، وددت لو كانت النحاس باشا!

ضحك الجميع على دعابته، وخرج صوت يطفح بالنفاق:

- صدقت يا مولانا، تشبهه بالفعل.

ضج الجميع بالضحك بينما تجاهله فاروق، واستمر يشير إلى بطة أخرى هزيلة:

- وهذه الخائبة، أمين عثمان، عميل الإنجليز!

مصمص الوقوف شفاههم غضبًا من سيرة أمين عثمان، صاح منافق آخر يريد مجاراة مولاه في لعبته وهو يشير لبطة ضخمة على الأرض:

- مولاي! لابد أن هذه البطة هي الأمير محمد علي.

نظر فاروق نحوه لفترة قبل أن يقول بصرامة:

- كلا، هذه تخص مايلز لامبسون!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل يوسف رشاد إلى شقته حاملًا صيده، بعد نهاية يومه الطويل في الفيوم، ألقى بحمله بجوار مدخل الباب بينما كانت ناهد تخرج من غرفتها بعد أن سمعت صوته، رفعت حاجبيها حين نظرت إلى البط قبل أن تقول:

- لم أحسبْك ماهرًا لهذه الدرجة! كيف استطعت اصطياد كل هذا البط؟!

ابتسم يوسف، طبع قبلة حانية على رأسها ثم قال:

- ليس لي كله، الملك منحني بعضَ صيده؛ أخبرني أنه هدية لكِ.

اكتسى وجهها بالحمرة قبل أن تقول في حيرة:

- لكن ماذا سنفعل بكل هذا البط؟!

قال يوسف بينما كان يتحرك إلى الحمام:

- سنقيم وليمة ندعو إليها بعض الأصدقاء.

أمسكَت ناهد بيدِه، جذبته خلفها إلى غرفة النوم قائلة:

- دعني أشبع منكَ أولًا، لن يستأثر بك الملك لنفسه!

دفعته من صدره العريض بدلال؛ فارتمى فوق السرير مبتسمًا، استلقت بجواره وعيناها تلمعان برغبة متقدة. وبعد أن هدأت فورتهما، استراحت برأسها على كتفه ويدها تداعب رقبته:

- احكِ لي ما حدث في الفيوم، لا أريد أن أغفل عن شيء مما جرى في يومك.

رماها يوسف بنظرة مستغربة قبل أن يقول:

- مجرد عمل؛ كالمعتاد.

منحته قبلة طويلة على خده، ثم عادت لوضعها المستكين في حضنه، لكنها عقدت حاجبيها في غضب حين سمعته يضحك:

- ما الذي يضحكك؟!

مسح يوسف على رأسها في حنان، أفهمها أنه لم يكن يسخر منها، كل ما في الأمر أنه تذكر ما كان من فاروق أثناء رحلة الصيد، وحكى لها تسمية الملك لبطة باسم مصطفى النحاس وأخرى باسم أمين عثمان، وثالثة باسم السفير الإنجليزي. لم تشاركه ناهد الضحك، استغرقت في صمتٍ تام وتفكير عميق قطعه يوسف حين قال بدهشة:

- ظننت أن هذه القصة ستضحكك!

بوجوم خرج صوتها متسائلًا:

- هل فهمت شيئًا من حديث الملك غير السخرية؟

مط يوسف شفتيه:

- بخلاف حبه للفكاهة والعبث! لم أفهم شيئًا بالطبع.

اعتدلت ناهد جالسة، أخذت ترتدي ملابسها حين قالت بجدية:

- كلامه ليس إلا ترديدًا للألم والمهانة التي أصابته من هؤلاء الثلاثة.

هز يوسف رأسه ثم قام واقفًا يبحث عن منشفته قبل أن يدخل للاستحمام، وأكملت ناهد حديثها بنفس النبرة الجادة:

- ورغبة قوية في نفسه بالانتقام منهم!

قال يوسف على الفور:

- ناهد! أظن أنك تبالغين قليلًا.

تأملت ناهد عضلات ظهره العريض بينما كان يخطو إلى الحمام مدندنًا بأغنية عبدالوهاب الجديدة، وابتلعت أفكارها في صمت، لم ترد عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف فاروق في جناحه الخاص، أمام مرآته الضخمة، يتأمل جسده الضخم وبطنه المنتفخ، انتابته الحسرة على رشاقته التي كانت، كان قد انتهى من إكمال أناقته استعدادًا للتوجه إلى حفل تقيمه الأميرة شويكار على شرفه كعادتها في الآونة الأخيرة. لم تعد حفلاتها تستهويه مؤخرًا؛ بعدما أَلِفت قدماه ارتياد الملاهي والجلوس إلى موائد لعب الورق. كان أكثر ما يسعده هو نظرات الاستجداء وكلمات التملق التي تطرب أذنيه من كل من حوله. في قرارة نفسه، كان يعلم أنهم ينافقونه، لكنه لم يجد ضررًا من التمتع بهذه اللحظات النادرة التي يشعر فيها حقًا بالسعادة. كان يعلم أن الكثيرين ممن حوله يجيدون اللعب أفضل منه، لكنهم يتعمدون الخسارة أمامه، طمعًا في لقب تافه، لا يفهم ماذا سيضيف لهم إلا المزيد من المال، مع مرور الأيام فهم أن قوته تكمُن في المال والنفوذ والسلطة، هو الملك؛ فلم لا يتمتع بهذه الميزات!. ورغم ذلك لم يكن يشعر بالسعادة، على العكس كان يشعر بفشل يحيط به في كل مكان؛ حياته الزوجية مع فريدة باتت مستحيلة، النكد والملل يسيطران على جناحَيهما، أخواته يعشن حياة الترف والسهر دون حساب، أخته فوزية صاحبة النيشان الأكبر الإمبراطوري الإيراني، والجرح الفارسي الذي نشن على قلبها فأصابه بحزن مفروش كبقعة حبر سوداء لطخت قلبها الأبيض، لا تزول ولا تبهت. تركت ابنتها مع طليقها بهلوي، بعيدة عنها في طهران، فتركت قلبها معها، وها هي تعيش مكلومة مهمومة تحت غلالات الهدوء والسكينة مع زوجها الجديد إسماعيل شيرين، ضابط الاتصال بين القصر والحكومة. مط فاروق شفتيه، علت وجهه تكشيرة حين عاودته ذكرى ما فعلته أمه، طعنته في مقتل حين صاحبت حسنين الخبيث، أسقط أمه في شركه بعدما أطلق موت أبيه سراحها من زنزانتها الذهبية. تأفف في ضيق حينما تذكر كم كان يود لو أخبر رفاقه باسم أول بطة أسقطها في رحلة صيد الأمس؛ ربما كان هذا سر تفوقه في الرماية الذي لا يعرفه أحد، كان دومًا ما يتخيل صورة خصومه وأعدائه قبل أن يضغط الزناد مصوبًا نحو هدفه. ودائمًا ما كانت أول صورة تسطع أمام عينيه، صورة أحمد حسنين، ولولا أنه كان يعلم بحاجته الشديدة إليه؛ لكان قد تخلص منه منذ وقت طويل. عدل من وضع رابطة عنقه متمتمًا في حنق:

«عائلة ملعونة..»

تحرك بخطوات واثقة مغادرًا غرفته، لمح فريدة أثناء مروره أمام جناحها، رآها تجلس مهمومة فوق السرير تبكي كعادتها منذ فترة، نفخ مغتاظًا؛ كان يرى أنها لا ترى قدر النعمة التي أصابتها بزواجها منه، تحولت من ابنة وصيفة إلى ملكة مصر، تأمُر فتُطاَع، لكن هذه النكِدَة التَّعِسَة لا ترى في ذلك أي فضل، تعايره بمرضه بنت ذو الفقار! ربما كان يجب أن ترى كيف ترتمي النساء تحت قدميه، وأن تنظر لحالها قبل أن تعايره، فبعد كل هذه السنوات لم تنجح في أن تنجب له وليًا للعهد، فقط أربعة إناث. زاد من سرعة خطواته بعدما نازغته فكرة أنه لا يطيق العيش معها بعد الآن، لم يعد يحتمل رؤية وجهها الباكي باستمرار، حتى صوتها الذي كان يحب سماعه فيما مضى، أصبح الآن يشكل سحابة من الكآبة فوق صدره. هز رأسه بقوة، طاردًا عنها كل الأفكار السوداء التي طافت حوله، حينما كان يغادر

الردهة الرئيسية لقصره، وكل الهامات أمامه تنحني له فور رؤيته، ابتسم حينما تذكر أنه اليوم سيلتقي بناهد، التي يحب رؤيتها هذه الأيام، لولاها ما كان ليذهب إلى حفل شويكار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل فاروق إلى الحفل فعزفت الموسيقى وانحنى الحضور إجلالًا، توجه على الفور ناحية مقعد مرتفع، مذهب وثير، أُعِدَّ خصيصًا لجلالته!. تأمَّل بعينين ضجرتين القاعة الفسيحة حوله، تجوَّل بنظراته في المصابيح المتوهجة المعلقة فوق الأعمدة الرخامية، الأقواس التي تزين السقف المنقوشة والمذهبة، القاعة فسيحة تنتظم فيها الموائد الممدودة بالفرش الملكية، أطقم الخزف الإيطالي والسيفر الممهورة بتوقيع صانعها الأصلي، أدوات الطعام الذهبية، الستائر المخملية المسدلة عند بعض النوافذ، والأخرى مشرعة عن زجاج شفاف يكشف منظر الحديقة الغناء. تأمل أفراد الفرقة الموسيقية المتأنقين، يعزفون لحنًا بلا راقصين، في حفل رغم مظاهر البهجة التي تحاوطه؛ إلا أنه كان يراه باهتًا. البكوات والباشوات برابطات أعناقهم وببيوناتهم، والهوانم فساتينهن مكشوفة والفوريرات الفاخرة بالكاد تداري صدورهن، وعقود اللؤلؤ والألماس تزين أعناقهن. كان يعلم أنهم كلهم منافقون، رغم أنهم ينحنون له الآن، لكنهم حين ينفردون بأنفسهم لا يترددون للحظة عن الهمز واللمز، يفكون عقد ألسنتهم البذيئة حين يحلون رابطات أعناقهم، والنساء يرفعن الحرج عن حديثهن الخليع حين يخلعن الفراء عن أكتافهن، تردد الهمسات الدائرة بينهم ما لا يقل انحطاطًا عما كتبه أسافل الناس على سُور قصره منذ أيام قليلة: «فاروق ابن العاهرة!».

انتبه من شروده وضجره، حين ظهرت ناهد تتأبط ذراع زوجِها يوسف رشاد، ترفل في فستان أسود ضيق، رغم بساطته مقارنة ببهرجة فساتين الهوانم، إلا أنه يكاد ينطق فوق جسدها المرسوم، وعقد زهيد الثمن كان يلتف حول عنقها، لكن امتداد جيدها كان كافيًا للفت الأنظار نحوها بغض النظر عن أي شيء آخر. توقفت أمامه على بعد خطوتين ثم انحنت وخلفها يوسف، ابتسم فاروق قبل أن ينهض متناولًا كفها البض، قبَّلَه قُبلة طويلة ثم دعاها إلى الجلوس بجواره، التفت مداعبًا يوسف الذي بقي واقفًا:

- ماذا فعلتم بالبط يا يوسف؟!

ابتسم يوسف قائلًا بأدب شديد:

- نفس سؤال ناهد يا مولاي.

ضحك فاروق بصوت مرتفع قبل أن يلتفت لناهد:

- ماذا تحبين أن تفعلي بالبط يا ناهد؟

احمر وجهها وقالت:

- يوسف يريد أن يدعو بعض أصدقائه على العشاء.

رفع فاروق حاجبيه:

- فكرة عظيمة يا يوسف! من ستدعو؟

- بعض الأصدقاء القدامى يا مولاي.

- ضُبَّاط؟

- مؤكد يا مولاي، ليس لدي أصدقاء سواهم.

- رائع.

تبادلت ناهد ويوسف النظرات، لا يفهمون ما يرمي له فاروق، الذي صمت لفترة قبل أن يقول بجدية:

- اسمع يا يوسف، وطِّد علاقتك بهؤلاء الأصدقاء، أعطني بيانًا بأسمائهم ورُتَبِهم في الجيش.

أومأ يوسف برأسه بينما كان فاروق سارحًا ببصره بعيدًا حين قال بصوتٍ أقرب للهمس:

- ربما أحتاجهم في أحد الأيام.

«مولاي!»

انتبه فاروق إلى وقوف شويكار أمامه، كأسها في يد، وفي يدها الأخرى سيجارتها في مبسم طويل، ابتسم لمنظرها الغريب الذي لا يتوافق مع سنوات عمرها التي جاوزت السبعين:

- أهلًا سمو الأميرة، حفلٌ رائع كعادتك.

اقتربت شويكار منه، أبعدت ناهد عنهما بإشارة من مبسمها الطويل، انحنت بالقرب من أذنه:

- أرغب في الحديث مع جلالتك على انفراد.

رافقها إلى الحديقة وذكرى ذلك اليوم الأغبر الذي أخبرته فيه بقصة أمه مع حسنين تسطع في مخيلته، انتبه على صوتها الرفيع حين سألت:

- ما أخبار الملكة؟

رفع فاروق حاجبيه:

- أي ملكة؟

ابتسمت شويكار وهي تسحب نفسًا طويلًا من مبسمها:

- فريدة! وهل هناك ملكة غيرها؟

أنهت سؤالها ثم أطلقت ضحكتها الحادة المستفزة، مط فاروق شفتيه قبل أن يقول بضيق:

- هي في حالها وأنا في حالي.

رنَّت ضحكة شويكار مرة أخرى عندما قالت:

- وماذا تريد منها يا مولاي! أمامك كل النساء، فقط عليك أن تشير لإحداهن تجدها طوع أمرك.

رمقها فاروق شذرًا قبل أن تنحل عقدة لسانه:

- الحياة معها أصبحت مملة بصورة بشعة.

قالت شويكار بنبرة ذات مغزى:

- أفهمك طبعًا، خصوصًا أنها لم تنجب ولي العهد!

توقف فاروق عن السير قبل أن يقول بحدة:

- لم أعد أطيقها، أفكر جديًا في تطليقها.

صمتت شويكار لبرهة، رشفت من كأسها قدرًا قليلًا من الشراب، قبل أن تستعد لإلقاء قنبلتها التي أشعلت فتيلها:

- أيوه، لكن قبل تطليقها لابد من حسم بعض الأمور.

عقد فاروق حاجبيه:

- لا أفهم قصدك!

ربتت شويكار على كتفه:

- سمعت أن رسامًا إنجليزيًا يرسمها هذه الأيام.

هزَّ فاروق كتفيه في لا مبالاة:

- أعرف ذلك.

تظاهرت بدهشة ممزوجة بخوف:

- وتوافق؟!

بزهقٍ احتد فاروق عليها:

- سمو الأميرة من فضلك! ماذا تعرفين؟

دمعت عيناها وتهدج صوتها الرفيع حين قالت:

- هذا الرسام مجنون، يعشق النساء، لابد أن ينام مع كل امرأة يرسمها؛ من أجل أن تعيش إحساسه حين يخلدها في لوحاته.

تسمَّر فاروق في وقفته، أصابته الصدمة بالشلل، بدأ عقله يتذكر ما كان بينه وبين فريدة من جدال حينما عرضت عليه الفكرة، تذكر إصرارها الغريب على الذهاب لمرسمه الخاص على زعم أن كل الإمكانات متوفرة هناك!.

انتبه على صوت شويكار حين ربتت عليه قائلة بحنان:

- سامحني يا فاروق، لم أستطع أن أداري عنك أكثر من ذلك؛ أنت ابني الذي عوضني به ربنا بعد إسماعيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دعا يوسف أصدقاءَه إلى عشاء، طبقه الرئيسي كان البط الذي اصطاده فاروق، كانوا ستة: أربعة من صغار ضباط الجيش، والخامس ضابط مطافىء والسادس موظف صغير، أعمارهم تتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين. ولما اكتمل شملهم في حجرة الصالون يحتسون الويسكي، امتلأت الحجرة بسُحبٍ من دخان السجائر حتى اضطرت ناهد إلى فتح النوافذ؛ لم تكن تضيق بالدخان بطبيعة الحال لأنها كانت مدخنة شرهة، لكنها فقط خافت أن يؤثر الدخان على ستائرها الجديدة، البيضاء المشغولة بالدانتيلا، التي اشترتها من راتب زوجها الضئيل بمشقة لتضفي على شقتها المتواضعة لمسة راقية.

تطلعت ناهد بعينيها السوداوين إلى ضيوف زوجها، استرعى انتباهها أحد الضباط، مصطفى، كان وسيمًا طويلًا له نظرة جريئة، شاربه مقصوص بعناية، يشرب الويسكي بشراهة ثم يتوجه إثر فراغ كأسه إلى البار الصغير ليملأه مرة أخرى. لم يكن قد سبق له دخول شقتها، رغم ذلك كان لا يشعر بأي كلفة وكأنه صديق قديم. رأته يحدِّق فيها، ويطيل التحديق، يجلس على أحد المقاعد الوثيرة مسترخيًا، مادًا ساقيه ويضحك لأي دعابة يسمعها أو يقولها بصوت عال.

لم تكن ناهد معتادة أن تستقبل هذا النوع الذي يتكلم بلهجة الطبقات الدنيا، إنها وصيفة في القصر لا تسمع بين جدرانه إلا الهمس وعابري الأروقة يمشون على أطراف أقدامهم، وإذا خوطبت فبالتبجيل التركي المتعارف عليه: «يا هانم، يا افندم»، ولكن ها هو ذا شخص في شقتها يطرقع صوته الفجّ ويهز الجدران بضحكه العالي!.

بعد انتهاء العشاء وشرب القهوة في ساعة متأخرة من الليل، استعد الجميع للمغادرة وسلموا على ناهد باحترام، إلا مصطفى، شد على يدها بقوة وكأنه يصافح رجلًا قائلًا:

- ألف شكر يا ست ناهد!

غادروا ووقفت هي تسمع من خلف الباب صوت مصطفى المرتفع، يصيح ضاحكًا في انتظار المصعد، صعد الدم إلى رأسها من الغضب؛ خشية كلام الجيران عن عربدة ضيوف زوجها في هذا الوقت المتأخر. دخلت غرفة نومها وعلامات التجهُّم تكشف ما يدور داخلها، نظر يوسف نحوها مستفهمًا، وقبل أن ينطق بحرفٍ واحد بادرته صائحة:

- حتى أصحابك! لا تحسن اختيارهم.

بُهِتَ يوسف لوهلة من غضبها المفاجيء، لكنه سرعان ما تمالك نفسه وعاد لهدوئه المعتاد:

- تقصدين مصطفى؟

أكملت ناهد صياحها:

- كيف تدعو هذا الهمجي؟!

اقترب منها يوسف يدللها، يقبل خدها معتذرًا، تظاهرت هي بالاستسلام له، لكن ذهنها كان مشغولًا بالتفكير في مصطفى، هذه الشخصية التي لم تقابل مثلها من قبل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل حسنين إلى قصره بالدقي متأخرًا كعادته في هذه الآونة، تسلل بخطوات هادئة إلى غرفة نومه؛ خشية إيقاظ نازلي، بدَّل ثيابه وارتدى منامته الحريرية ثم انسل بهدوء تحت الغطاء. التفتت نازلي نحوه والنعاس باديًا على ملامحها:

- حبيبي! لم تأخرت؟

لم تكن لدى حسنين أي رغبة في تبادل الحديث، بعد يوم شاق طويل في القصر الملكي، فخرجت الكلمات من فمه مقتضبة:

- العمل يا نازلي.

تسحبت أسفل الغطاء حتى التصقت به، داعبت بيدها شعره ثم قالت:

- أخشى عليك التعب يا قلبي!

تململ حسنين في نومته قبل أن يقول:

- العبءُ صار ثقيلًا، كل يوم مشكلة جديدة.

طبعت قبلة حانية على خده ثم قالت:

- ربما عليك أن تستعين بأحد.

التفت إليها بحدة:

- فاروق يستعين بأحد، وأنا أستعين بأحد! من يدير البلد إذن؟!

أدركت بفطنتها الأنثوية أنه مشحون؛ فتجاوزت عن حدته:

- أحمد! ما يقلقك؟ أخبرني.

هدأت حدته قليلًا بعد أن لزم الصمت لفترة، ثم قال بصوت حاول أن يخرج هادئًا:

- فاروق! بعد الحادث لم يعد كما كان.

رفعت نازلي حاجبيها ثم اعتدلت جالسة:

- ألم يقل الأطباء أنه أصبح بخير؟!

زفر حسنين في ضيق:

- لا أقصد حالته الصحية، إنما هناك شيء فيه قد تغير.

صمت للحظة ثم أكمل:

- لا يتوقف ليلة عن السهر، في البداية اتفقنا على الأوبرج، لكنه بعد ذلك أصبح يذهب للأوبرج والأريزونا وكل الملاهي! حتى موائد القمار أصبح لا يفارقها!

تنهدت نازلي في ارتياح:

- اعذره يا أحمد؛ تعلم شدة فؤاد عليه وقت طفولته، انصحه، هو يحبك ويسمع لك.

هز حسنين رأسه:

- لم يعد يسمع لي، أشعر بجفاءٍ واضح من ناحيته، الآن يرافق يوسف رشاد وزوجته ناهد.

ابتسمت نازلي:

- مجرد نزوة، أنت تعرفه جيدًا يا حبيبي.

اعتدل حسنين جالسًا:

- لا يا نازلي، الأمر أكبر من ذلك، فاروق لم يعد مهتمًا بشيء، والنحاس ولامبسون يشكلان خطرًا كبيرًا، وهذا الغبي أمين عثمان لا يتوقف عن تصريحاته الرعناء التي تثير الشارع.

ربتت نازلي على كتفه:

- أنت البركة يا أحمد، أعرف أنك ستجد حلًا لأي مشكلة.

نظر حسنين نحوها طويلًا:

- فاروق لم يعد يرغب في وجودي، أرى ذلك في عينيه، أحس به في نبرات صوته، أشعر برغبته في الانتقام.

طبعت نازلي قبلة طويلة على خده:

- لا تقلق، فاروق ابني وأنا أعرفه جيدًا، لن يفعل شيئًا.

احتد حسنين:

- أنا لا أقلق، تعرفين ذلك جيدًا، فقط أخاف على ما سيحدث للبلد إن تهور وانساق وراء هذه الحالة العجيبة التي تستحوذ عليه.

عقدت نازلي حاجبَيها وخرج صوتها قلقًا:

- ماذا تقصد؟

نهض حسنين واقفًا ثم قال:

- فاروق أصبح لا يثق في أحد.

نظرت نازلي نحوه مستفهمة؛ فأشعل سيجارة وسحب نفسًا طويلًا قبل أن يقول:

- فاروق يشك في فريدة.

- فريدة! مستحيل.

- للأسف، هذا ما حدث، انقلبت أحواله تمامًا، أصبح يرسل وراءها العيون في كل مكان، موضوع الرسام الإنجليزي أصبح قنبلة موقوتة.

- لكن مستحيل فريدة تفكر في...

- ليست هذه المشكلة، الخطر أن فاروق يريد تصعيد الموقف.

- من مصدر هذا الكلام؟

- الأميرة شويكار، دعته لواحدة من حفلاتها ثم زرعت داخله بذور الشك.

- تلك الملعونة! لا أفهم لم لا تتركنا وحالنا.

أشاح حسنين بوجهه بعيدًا ولم يرد، نهضت نازلي ثم خطت نحوه:

- أحمد! ماذا سنفعل؟

شرد حسنين في دوائر الدخان المتراقصة أمام عينيه:

- صدقيني هذه المرة حين أخبرك أني لا أعرف!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دعا يوسف أصدقاءه الستة مجددًا، وحين انتهوا من تناول الطعام، جلسوا في الصالون يحتسون القهوة ويدخنون، أخرج مصطفى بغتةً علبةً معدنية، بها تبغ وورق للف السجائر. استرعى ذلك انتباه ناهد؛ فبدأت تراقبه بدهشة، رأته يضع التبغ في اللفافة، زادت دهشتها عندما رأته يخرج من جيبه صُرَّة صغيرة من القماش ويخرج منها حبة بنية غامقة فركها ثم نثرها على التبغ، وأخذ يلف الورقة ببطء وحرص، ثم بلَّلها بطرف لسانه وألصقها، أشعلها ثم سحب نفسًا طويلًا، كتمه في صدره لفترة وهو مغمض العينين، وأخيرًا نفثه بصوت مسموع؛ انبعثت مع الدخان المتطاير رائحة غريبة، عطرية ثقيلة. قلَّبت ناهد نظراتها بين زوجها وبين مصطفى الذي باغتها قائلًا بابتسامة عريضة:

- اتفضلي يا ست ناهد.

تدخل يوسف على الفور:

- لا يا مصطفى، ناهد لا تدخن الحشيش!

بعفوية قال مصطفى وهو يسحب نفسًا جديدًا:

- معقول! لو جربت ستنسى الدنيا وما فيها.

صمت قليلًا ثم نظر ناحية يوسف وقال:

- صنف معتبر، ماركة فاروق الأول! أدفع نصف راتبي مقابل أوقية واحدة!

احمر وجه ناهد ونظرت إلى زوجها، لكن نظرة واحدة منه أفهمتها أن عليها أن تضبط أعصابها. راقبتهم ناهد بعدما سرى مفعول الحشيش في عقولهم، أخذوا يصيحون ويضحكون في بلاهة، فكرت في أمرهم كثيرًا، انتهى تفكيرها إلى أن عربدة مصطفى غير متكلفة، بينما دماثة الآخرين ليست سوى مجرد طلاء وهمي ينحسر لهبة بسيطة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ لقاء فاروق الأخير مع شويكار وجمر النار يسري في عروقه، يحرق كرات دمه البيضاء والحمراء، وهو يغمغم مخنوقًا: «مستحيل». يفك رابطة عنقه، يقف وراء شرفة نافذة مكتبه، تهب عليه نسمات حديقة القصر فلا يخفف نسيم الصباح من نار الجمر ولا يبدد رطب الهواء دخان غضبه. أرسل العيون والجواسيس وراء فريدة في كل مكان، أصبحت كل تحركاتها مرصودة، صار لديه تقرير يومي عن مقابلاتها ولفتاتها وهمساتها!. أبلغه رجاله أن هذا الرسام اللعين اسمه سيمون إلويس، جاء إلى مصر ضمن القوات البريطانية، وصل مصر مع الكتيبة العاشرة للهوسار ثم ألحق بالعلاقات العامة بقيادة القوات البريطانية، وبعد وصوله بفترة ظهر في مجتمعات القاهرة، اشتهر برسم لوحات زيتية لعدد من الشخصيات البارزة أهمها كانت لوحة لمايلز لامبسون، تمتم فاروق بغيظ: «تبًا لك يا مايلز، لا نرى منك إلا المصائب..»

سيمون إلويس كان في الأربعينيات المبكرة من عمره، فاروق لم يرَه سوى مرة أو مرتين حين طلب منحه شرف رسم لوحة لملك مصر وملكتها- حتى أنه لا يتذكر ملامحه بوضوح، لكن رجاله أخبروه أنه يعتبر نفسه دونجوان، أحد التقارير التي تلقاها قرأ فيها أن سيمون قال لأصدقائه في جلسة خاصة إنه يستمتع عندما يرسم لوحة لامرأة فاتنة، لكن إلهامه لا يكتمل إلا إذا دخل في علاقة حميمة مع صاحبة اللوحة!.

اعتذر فاروق عن أمر اللوحة؛ لم يكن لديه وقت كافٍ للجلوس أمام سيمون، بينما أبدت فريدة حماسًا واضحًا. وافق فاروق على منح سيمون ألف جنيه إسترليني مقابل اللوحة، نفحه نصف المبلغ مقدمًا. وسريعًا بدأت جلسات فريدة الطويلة أمام سيمون.كانت الجلسة الأولى في قصر عابدين، وتكررت الجلسات، ثم أبدى سيمون شكواه من حركة الوصيفات حول فريدة ومقاطعتهن المستمرة التي تفسد عليه تركيزه، وكرر أن من الصعب مواصلة العمل في هذه الأجواء، ثم سألها إذا كان في وسعها أن تذهب إليه في مرسم يعمل فيه؛ لأن ذلك سيكون أدعى إلى كمال اللوحة. كان هذا الاقتراح صادمًا لوصيفات الملكة، لكن سيمون أصر عليه، وتمكن في نهاية الأمر من إقناع فريدة التي ألحت على فاروق حتى وافق على مضض.

«كم كنت غبيًا»، غمم فاروق بسخط وهو يقرأ بين يديه التقرير الذي تسلمه صباح اليوم، فيه أن شركاء سيمون في السكن يعلمون بزيارات فريدة المتكررة، يحرصون على التسلل خارجين قبل وصولها. قرأ أيضًا أن الجلسات بينهما لا تقتصر على تلك التي يتم إبلاغ القصر بموعدها، بل امتدت إلى جلسات خاصة، منها موعد اليوم الذي توصلت له أحد المصادر السرية!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كأي عارضة أمام فنان يرسمها، جلست فريدة على كرسي وثير من القطيفة، سيمون كان مستغرقًا في عمله بعدما قاربت لوحته على الانتهاء، ترك فرشاته من يده ثم تحرك ناحية فريدة، عدَّل من جلستها بلمسة حانية، استجابت على الفور وابتسامة مشرقة ارتسمت على محياها؛ كانت هذه الجلسات بمثابة الشيء الوحيد الذي تنفث به عن نفسها بعد أن صارت حياتها مع فاروق جحيمًا لا يُطاق. فجأة اقتحم الغرفة أندرو شريك سيمون في السكن صارخًا:

«الملك في الأسفل، ومعه رجال كثر..»

انسحبت الدماء من وجه فريدة، لا لخطأٍ ارتكبته، لكن ليقينها بحماقة فاروق، لم تشعر بنفسها إلا وسيمون يسحبها ووصيفتها في اتجاه الباب الخلفي للشقة، لكن صدمتهم كانت كبيرة عندما وجدوا رجال فاروق ينتظرونهم وراء الباب!.

دخل فاروق مندفعًا، نظر لوهلة ناحية فريدة، التي كانت تقف مطَأطَأة الرأس كمن ضُبطت متلبسة بجُرم فاضح، ثم صفع سيمون على وجهه، دفعه بكل قوته؛ طرحه أرضًا. اختطف اللوحة من فوق الحامل الخشبي، ألقاها على الأرض، سحقها تحت قدمَيه. وفريدة تراقب ما يحدث بفزع، الدموع تسيل غزيرة من عينيها دون إرادة منها، رعشة مخيفة سيطرت على جسدها حين شاهدته يخرج مسدسه من تحت إبطه، اندفعت وصيفتها نحو فاروق، انحنت أمامه تقبل يده، ثم ارتمت على الأرض تقبّل حذاءه، دفعها بقدمه بعيدًا بقرف، ثم التفت إلى فريدة، رمقها طويلًا قبل أن يقول:

- عيب يا جلالة الملكة!

حاولت فريدة أن تنطق لكن أحبالها الصوتية خانتها، استمرت تنشج بالبكاء، وأكمل هو صائحًا:

- عيب يا أم البنات!

نظر ناحية سيمون بازدراء، بصقَ عليه، ثم نظر لها مشيرًا نحوه بمسدسه:

- مع هذا الحقير!

لم تستطِع الرد، فقدت السيطرة على جسدها، الذي لم يتوقف عن الانتفاض، سحب فاروق أمان المسدس، صوَّب ماسورته تجاه سيمون الذي مدَّ ذراعَيه أمامه متوسلًا، اتسعت عيناه في رعبٍ حقيقي. اقترب أحد الرجال من فاروق ثم همس في أذنه بكلمات مقتضبة، خبط على إثرها فاروق بقدمه في الأرض بعنف ثم صاح غاضبًا:

- هذا التافه يغادر مصر فورًا، ألقوه في أي مركب الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أصبح يوسف يلازم منزله دائمًا، وإذا خرج إلى مكانٍ فعليه أن يترك رقم تليفون المكان الذي يتوجه إليه أو عنوانه، هكذا كانت أوامر فاروق، وفي عصر هذا اليوم تلقَّى مكالمة للتوجه إلى القصر وبصحبته ناهد. حين وصلا إلى مكتب فاروق، نهض إلى وسط الغرفة وأخذ بيد ناهد قائلًا:

- أراكِ تزدادين جمالًا!

احمر وجهها، شكرته بصوتٍ خافت بينما كان يشير لها بكفه بالجلوس، وبعد عدة عبارات استعرض فيها فاروق خفة ظله، بدأت الجدية تتشكل على ملامح وجهه حين قال:

- لقد طلبتكما للتحدث عن أصدقائكما.

تبادل يوسف وناهد النظرات في صمت بينما استطرد فاروق:

- كلهم لديهم أطماع.

صمت للحظة، صوب فيها نظراته إلى ناهد، ثم قال:

- وصاحب الأطماع تسهل مساومته، تدركين طبعًا يا ناهد ما أقصد! أعلم أنك ذكية.

دار في خاطرها أنه لابد يريد منهما أن يطلبا من هؤلاء الضباط عملًا ما؛ فسألته على الفور:

- مولاي! هل تطلب تكليفهم عملًا خطيرًا؟

ابتسم فاروق:

- نعم، وخطير جدًا.

قال يوسف بنبرة خافتة:

- إلى أي حد؟

قال فاروق على الفور:

- إلى أبعد الحدود.

وصمت قليلًا ثم أردف بصوتٍ هادىء:

- إلى حد القتل.

تجمَّد يوسف وناهد في جلستهما، لم يجرؤا حتى على تبادل النظرات، في حين أكمل فاروق حديثه الخطير:

- سأصارحكما مباشرةً، أريد قتل النحاس وأمين عثمان ولامبسون.

على الفور قالت ناهد:

- يستحقون يا مولاي.

نظر يوسف إليها بتعجب قبل أن يقول:

- مولاي! اسمح لي، قتل سير لامبسون سيشكل أزمة كبيرة مع الإنجليز، كل الأصابع ستشير لجلالتك، وقد يكون لها توابع خطيرة.

مط فاروق شفتيه:

- أعلم ذلك جيدًا، لذا سيكون انتقامي مقتصرًا على النحاس وأمين عثمان؛ فكل ما سيفعله الإنجليز أن تقوم جريدة التايمز برثائهما.

بتردد قال يوسف:

- لكن يا مولاي، لا أرى في أصدقائي أنهم يصلحون لهذه المهمة.

قال فاروق بتبرم:

- لماذا؟!

أجاب يوسف بسرعة:

- يتعاطون الحشيش، بعيدون كل البعد عن تحمل المسئولية، وأظن أنهم...

قاطعته ناهد:

- بالعكس، الحشيش سيفقدهم القدرة على تقييم عواقب المخاطرة.

علت ضحكة فاروق حين قال:

- ممتاز يا ناهد.

صمت لوهلة ثم قال مخاطبًا يوسف:

- اسمع يا يوسف، أمامك وقتٌ لتشكيل أصدقائك في جماعة؛ تولَّ هذه المهمة ولك مني شيك مفتوح بتحقيق أي أمنية يرغبون في تحقيقها.

انصرف الزوجان وهما يشعران بثقل المهمة التي ألقاها فاروق على عاتقهما وخطورتها البالغة. فأي قَدَرٍ يريد أن يلقي بهما في هذه المصيبة؟ إذا لم يطيعا فاروق سيعود يوسف طبيبًا مغمورًا، وينتقل من مكتب القصر إلى عيادة فقيرة في أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة. وناهد لن تحضر إليها سيارة القصر مرة أخرى، ولن تلبس الشمك الأبيض الذي تتميز به سيدات القصر. هذه الخواطر وغيرها تبادلاها حين عادا إلى البيت، وفي النهاية وجدت ناهد في نفسها ميلًا لتنفيذ أوامر فاروق، لا إيمانًا منها بما قاله، ولكن لأن حبها لحياة القصر كان أكثر بكثير من حبها لحياتها بعيدًا عن الأضواء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم فلا أملكه!»

اقتربت الشمس من موضع سُباتها، تلونت سماء الإسكندرية بألوان الغروب، نسمات عليلة رطبت أجواء شاطىء المنتزه الهادئ، الرمال صافية، الدوارق ممتلئة بالعصائر الطازجة، أطباق من الفاكهة المتنوعة والمأكولات البحرية متراصَّة في نظام، وزجاجات الكوكاكولا مصطفة فوق موائد انتصب إلى جوارها الخدم بقفاطينهم الحمراء الأنيقة، الموشاة بخيوطٍ مذهبة. وفاروق يضرب الموج بذراعيه بعد أن استيقظ متأخرًا كعادته، لم يعد مجبرًا على الاستيقاظ وقت الشروق كما كان النظام الصارم أيام أبيه؛ ليلة البارحة كانت طويلة رفقة ناهد وأصدقاء السهر، يميل هذه الأيام لصحبتها، يحب ذكاءها، يرى في عينيها رغبتها الجامحة وطموحها الواضح في الزواج منه، يعشق نبرات صوتها الأنثوي الذي تتلاعب بطبقاته بمهارة، يملّها أحيانًا، لكنها أغلب الوقت تتأبط ذراعه، إن ناداها لبت، وإن أبعدها رضيت، مريحة للغاية!. فاجأته موجة عالية فنزل تحتها، تذكر فريدة، ابتسم عندما فكر أنها تجلس الآن في جناحها مغتاظة مهمومة من مرافقته لناهد، لكن عليها أن تدفع ثمن ما فعلته به قبل أن يطلقها، لم يعد يطيقها. لمعت عيناه حين رأى ظهر ناهد مفرودًا فوق الماء بجوار وجهه بالضبط، أكسبه البلل بريقًا وغواية مثيرة، لفّت ناهد جسدها البض ببراعة في الماء كأنها عروس بحر خرجت من كتب الحكايات القديمة، ورمته بنظرة داعية، دفع كفه الضخم ناحيتها؛ فطرطش الماء في وجهها الحليبي وندَّت عن فمها ضحكة أثارته. ضرب بذراعه موجة حنون عانقت صدره، ثم بدا على ملامحه الضيق حين التفت ناحية الشاطىء فوجد حسنين واقفًا بالقرب من الماء ينظر ناحيته. خرج من الماء فتبعته، اقترب من حسنين متظاهرًا بالجدية:

- حسنين باشا! هناك ما يستدعي تعكير خلوتي؟

تجاوز حسنين لهجته الرسمية:

- مولاي! الحلفاء انتصروا، والآن تجري أعمال تقسيم الغنائم بين المنتصرين، ولعل من المناسب أن...

قاطعه فاروق بسخرية:

- هذه أخبارك المهمة! كل العالم يعرف أن الحرب انتهت، ويعلم بهزيمة دول المحور.

سيطر حسنين على مشاعر الغضب التي اجتاحته:

- نحن أيضًا يا مولاي، علينا أن نوَفِّق أوضاعنا، ونُصفِّي حساباتنا.

صمت فاروق للحظة بعد أن فطن لمغزى حديث حسنين ثم قال:

- لكن الإنجليز انتصروا، وما زالوا أقوياء!

ابتسم حسنين بدهاء:

- بعد الحرب لا وجود لأقوياء، ممكن جلالتك تعتبرهم منتشين بالنصر، لن يلتفتوا لأي فعل سنقوم به، الآن هو الوقت المناسب يا مولاي للانتقام.

تهللت أسارير فاروق حين هتف:

- لامبسون!

هز حسنين رأسه واتسعت ابتسامته حين قال:

- ليس بعد، لكننا سنبدأ بالنحاس وحكومته.

بدا التردد على ملامح فاروق حين قال:

- وأسباب الإقالة؟

- تجاوزات أي حكومة لا تنتهي يا مولاي! لكن يكفينا كتاب مكرم عبيد الأسود، والحديث عن نفوذ زينب هانم الوكيل.

ابتسم فاروق في وجه حسنين لأول مرة منذ فترة:

- تمام يا حسنين باشا، لكن أريدها مفاجأة قاضية؛ خطاب تكليف الوزارة الجديدة يسلم لرئيس الوزراء الجديد في نفس اللحظة اللي يستلم فيها النحاس خطاب إقالته.

تململت ناهد في نومتها على الكرسي الممدود، التفت فاروق إليها، تسمر بصره على ساقيها اللدنتين، وبطنها المشدود، نهديها المطلان باعتزاز من وراء المايوه الأسود. سمع أنفاسها وهي تتنهد، كأنها تريد أن تقول شيئًا، لم يهتم بما كانت تريد قوله بقدر ما أثارته تنهيدتها، فهم أنها تتذمر من طول وقوف حسنين معه؛ فسأله على الفور راغبًا في إنهاء الحوار:

- ماذا فعلت مع الشيخ المراغي؟

قرن حسنين حاجبيه:

- أخبرني أن بعض الظن إثم.

- ماذا؟!

- عفوًا يا مولاي! أخبرني أن الشك لا يجوز الأخذ به.

فرد فاروق ظهره فوق كرسيه الممدود فزاد بطنه انتفاخًا:

- حكيت له أن فريدة تزور وحيد يسري في بيته؟!

تنحنح حسنين قبل أن يقول:

- مولاي! وحيد يسري متزوج، والملكة صديقة لزوجته! ثم وحيد يسري هذا في عمر والدها!

صمت فاروق لبرهة؛ فطن لأن حسنين غير راض عن موقفه من فريدة، ثم قال:

- والطلاق! ما رأيه في الطلاق؟

أجاب حسنين على الفور:

- قال بالحرف الواحد: أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم فلا أملكه.

صاح فاروق محتدًا:

- ماذا يقصد يا حسنين؟! لست في مزاج جيد الآن.

- يقصد أن الطلاق حقك يا مولاي، لكنه لا يستطيع إصدار فتوى بتحريم زواج فريدة بعد طلاقها من جلالتك.

جز فاروق على أسنانه:

- ما فائدته إذن!

صمت قليلًا ثم قال:

- سأطلقها على أي حال، اذهب الآن وابدأ فيما اتفقنا عليه.

اقترب من كرسي ناهد، لاحظت أن عينيه تبدل حالهما وظهر فيهما الهم، فمالت بخصرها قليلًا لتلفت انتباهه إلى استداراتها التي كانت تعلم أنه يعشقها، ابتسم بهدوء قبل أن يقول بجدية:

- بلغي يوسف أن بإمكان جماعته التحرك الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد انتصار الحلفاء لم يعد يوجد في مصر ما يخشاه الإنجليز للتأثير على الحرب، انتهز حسنين الفرصة واستغل أن مايلز لامبسون سافر في إجازة قصيرة إلى جنوب إفريقيا، وضرب ضربته المفاجئة. أصدر القصر تعليمات سرية إلى أحمد ماهر، رئيس الحزب السعدي، بألا يغادر منزله هذا اليوم، يبقى منتظرًا رسالة من الملك فاروق، وأوامر سرية إلى حكمدار بوليس القاهرة، ومدير إدارة الأمن العام بأن تكون قوات الأمن على استعداد لحفظ النظام. وجرى كل هذا والوزراء ورئيسهم، مصطفى النحاس، في الإسكندرية لا يعرفون شيئًا.

وفي الصباح الباكر استقل حسن يوسف، وكيل الديوان الملكي، القطار من الإسكندرية إلى القاهرة، حاملًا في جيبه أمرًا ملكيًا إلى أحمد ماهر، بتشكيل وزارة، وعاد إلى الإسكندرية بسيارته حاملًا أمرًا ملكيًا آخر إلى مصطفى النحاس بإقالة الوزارة.

وفي الخامسة بعد ظهر نفس اليوم، وطبقًا للأوامر والخطة، غادر أحمد ماهر، منزله إلى رئاسة الوزراء، وصعد إلى غرفة رئيس الوزراء وأمر السعاة والحجاب أن يفتحوا أمامه الأبواب، وأعلمهم أنه رئيس الوزارة الجديدة. وفي نفس الساعة كان حسن يوسف يصعد إلى الطابق الثاني من فندق سيسيل بالإسكندرية، حيث يقيم مصطفى النحاس، وسلمه خطاب الإقالة، وكان أمين عثمان وزير المالية، المعروف بولائه للإنجليز، يزور النحاس في هذا الوقت. وعندما علم بأن الوزارة

أقيلت كان بيده سلسة ذهبية يلعب بها سقطت من يده من الصدمة، ولكنه خرج وأرسل برقية إلى أحمد حسنين، يقول له فيها بالإنجليزية: «أهنئك لقد ربحت الجولة الأخيرة..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نجح يوسف رشاد في تشكيل جماعته، بعدما اختار فاروق بنفسه من بعض الضباط الذين كان يريد منهم أن ينفذوا رغباته في قتل من يريد قتلهم من الذين يحمل لهم كراهية شديدة. وعندما أبلغته ناهد بتعليمات فاروق بالتحرك، دعاهم إلى عشاء ثم بعد عدة كؤوس وسجائر الحشيش التفت لهم قائلًا بجدية:

- ما رأيكم في النحاس وأمين عثمان؟

قال مصطفى وعينا ناهد لا تفارقانه:

- خونة.

ابتسمت ناهد وهي تقول أثناء صب الويسكي في كأس مصطفى الفارغة:

- وما جزاء الخائنين؟

أجاب مصطفى على الفور:

- الضرب بالرصاص.

جال يوسف رشاد بعينيه في الآخرين، خرج صوته هادئًا:

- موافقون على هذا الرأي؟

هز الجميع رؤوسهم وخرجت أصواتهم تفوح منها رائحة الويسكي:

- موافقون على ما وافق عليه مصطفى.

وبعد أسبوع من هذه الليلة أوفى فاروق بوعده فتم نقل مصطفى إلى سلاح الفرسان، وتحققت أماني كل أصدقاء يوسف، واختار لهم فاروق اسم الحرس الحديدي.

دفع فاروق إلى يوسف مبلغًا كبيرًا من المال لشراء ثلاث سيارات مستعملة، اشتراها بأسماء مستعارة، وأعدَّ لها بمعاونة رفاقه لوحات مزيفة، كما تم شراء بنادق رشاشة وقنابل يدوية وديناميت. تم الاتفاق على أن تكون أول مهمة لهم هي التخلص من أمين عثمان. وحين توجهوا لمكتبه تربصوا له منتظرين خروجه، كانت خطتهم قائمة على أن يتم قتله في المصعد، لكنه نزل من السلم، فجرى وراءه واحد منهم، توفيق، أطلق عليه الرصاص؛ ثم حاول الفرار ولكن تم القبض عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل مايز لامبسون مكتب أحمد حسنين غاضبًا، وجهه الإنجليزي منتفخ من الغيظ، تبدل بياضه احمرارًا، استقبله حسنين بابتسامة مجاملة صفراء بينما كان يعدل من وضع طربوشه فوق رأسه، جلس لامبسون دون استئذان فوق مقعد وثير، وأخذ

يدخن سيجاره في عصبية واضحة، وبعنجهيته المعتادة خرجت الكلمات من فمه كأوامر لا تحتمل النقاش، صمت حسنين لفترة، كأنه يفكر، ثم بدأ يمارس لعبته التي خطط لها منذ زمن طويل، تحديدًا بعد اللطمة التي تلقاها في ٤ فبراير، سأل بهدوئه المعتاد:

- سيادة السفير! أنت تطلب من جلالة الملك أن يقيل الوزارة؟

ببروده الإنجليزي أجاب لامبسون:

- وفورًا.

من جديد تساءل حسنين:

- هل هي إعادة لما جرى منذ سنوات عندما فرضت علينا حكومة النحاس؟

مط لامبسون شفتيه، وسحب نفسًا طويلًا من سيجاره ثم تطايرت كلماته وسط سحابة كثيفة من الدخان:

- ليس بالضبط، الأمر هنا مختلف، الوزارة الحالية هي المسئولة عن مقتل صديقنا أمين عثمان؛ لم توفر له الحماية وتتعامل في القضية بتهاون!

لمعت عينا حسنين، وخرجت كلماته تقطر خبثًا ودهاء:

- وجهة نظر جديرة بالتأمل سعادة اللورد! لا مانع أبدًا من عرضها على مولانا.

صمت للحظة ثم أضاف متسائلًا:

- لكن! لم لا تطلب ذلك رسميًا؟

عقد لامبسون حاجبيه حين قال:

- رسميًا! ماذا تقصد حسنين باشا؟

ابتسم حسنين بعد أن أيقن من التقاط فريسته للطعم:

- خطاب رسمي منكم موجه لجلالة الملك شخصيًا؛ حتى يتخذ قراره في الأمر.

نفخ لامبسون دخانه في وجه حسنين قبل أن ينهض واقفًا ثم يقول بثقة:

- حسنين باشا، اليوم يصلك الخطاب.

ودعه حسنين مبتسمًا؛ علم أنه سيبر بقسمه وسيثأر لنفسه ولفاروق مما جرى معهما وقت حصار القصر بالدبابات الإنجليزية. لامبسون لم يكن يعلم أن خطابه كان غاية حسنين من تلك المقابلة؛ فالأحوال في لندن لم تعد كما كانت أيام الحرب، الوزارة البريطانية صارت تحت زعامة أتلي، وكان وزير الخارجية إرنست بيفن تربطه صداقة وثيقة بسفير مصر في لندن عبدالفتاح عمرو لتزاملهما في جامعة أكسفورد. وعرف حسنين كيف يوجه عبد الفتاح عمرو إلى استغلال صداقته مع بيفن؛ أرسل له خطاب لامبسون الموجه لفاروق بعد أن أبدى استياء مصر الشديد من تدخل

بريطانيا في شئونها الداخلية، وكان أن استدعت الخارجية البريطانية سفيرها مايلز لامبسون، وأنهت خدماته في مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ الصباح وحسنين لا يشعر أنه على ما يرام، هذه الحالة الغريبة تلازمه منذ عدة أيام، رغم انتصاره الكبير على لامبسون، وسعادة فاروق الغامرة بما حققه حسنين، لكنه كان يشعر أنه يريد أن يرتاح؛ طلب من فاروق أن يقبل اعتذاره عن الاستمرار في منصبه، لكن فاروق رفض بشدة، وأصدر أمره السامي بعدم الاستغناء عن خدماته!. ليلتها جافاه النوم؛ فأمضى سهرته حتى الصباح مع أم كلثوم وبعض الأصدقاء، غنت لهم سلوا قلبي. تأثر حسنين كثيرًا، أنصَتَ بكل جوارحه إلى الكلمات الرقيقة، حتى أنه حمل مقعدًا صغيرًا جلس فيه بين يدي كوكب الشرق.

وحين غادر الرفاق، وانتهت السهرة تداعت الأفكار وتصارعت داخله، استرجع شريط حياته كله، وعصفت التساؤلات بعقله، تذكر لطيفة طليقته وأولاده منها، لم يكن يحبها عندما تزوجها، لكنه لم يرَ منها ما يكره، على العكس ساندته ودعمته، رفعته من طبقة عوام الناس إلى مصاف المقربين من العائلة المالكة، ربما شعر بشيء من تأنيب الضمير ناحيتها، لكنه سريعًا ما تذكر الموقف الذي وضعته فيه نازلي؛ لم يكن أمامه اختيار، إما منصبه وحلمه وإما لطيفة، وقتها كان قراره محسومًا، لكن الآن وبعد كل هذه السنوات ربما كان سيتخذ مسلكًا آخر. حتى فاروق وكل ما علَّمه له، الآن يراه هباءً منثورا؛ فاروق يرمح كفرسٍ هائج، لا شيء يوقفه، يوسف رشاد وناهد وكريم ثابت وبوللِّي، سهرات البوريفاج والأريزونا، ليالي شويكار المشبوهة، موائد القمار اليومية، غمغم حسنين بضيق: «ماذا فعلت بهذا المسكين؟!..»

تذكر وقت أن ائتمنه فؤاد على صغيره قبل رحلة تعليم لندن، كان صبيًا يافعًا، أخضر العود، طيب القلب، بريء الوجه. كان يعلم أن علاقته بنازلي سببًا رئيسيًا فيما أصبح عليه فاروق، لكن ماذا كان يستطيع أن يفعل مع هذه المرأة، لم تكن لتتوقف أبدًا عن أفعالها الطائشة، إن لم يكن هو لكان ألف غيره!.

«الباشا صاحي؟»

أفاق من أفكاره وشروده على صوت نازلي تخاطب أحد خدمه، لحظات ووجدها أمامه تتألق في فستان أبيض فوقه معطف أسود ثقيل، للحظة شعر بالأسى نحوها؛ دفعت سنوات طويلة من عمرها رفقة رجل لا تطيقه، لم يجرؤ أحد على حمايتها أو انقاذها من براثن السلطان وسجنه الذهبي. دنت منه حتى احتضنته من الخلف، طبعت قبلة على رقبته، وخرج صوتها حانيًا:

- حبيبي لم تأخرت عن القصر؟!

التفت حسنين إليها، ربت على خدها:

- لا رغبة لدي في العمل اليوم.

نظرت في عينيه ثم قالت:

- إذن لا تذهب، سأبقى معك طوال اليوم.

ابتسم حسنين:

- لا أستطيع، لدي موعد على الغذاء.

تظاهرت نازلي بالغضب:

- موعد أهم مني؟!

- صدقيني حين أخبرك أني اليوم لا أريد مغادرة البيت.

رفعت نازلي حاجبيها متظاهرة بالدهشة قبل أن تقول مداعبة:

- معقول! حسنين باشا أنشط رجل في مصر يشعر بالكسل!

ابتسم حسنين ثم قال:

- ليس كسلًا يا نازلي، فقط أريد أن أرتاح.

دفست نازلي رأسها في حضنه:

- أحمد! ما الأمر؟ بدأت أقلق عليك.

مسح على شعرها قبل أن يقول بنبرة شابها حزن واضح:

- تعرفين كيف سيذكرني التاريخ يا نازلي؟

رفعت نازلي وجهها نحوه، هالها أن ترى عينيه تلمعان بالدموع فقالت محتدة:

- أي تاريخ يا حبيبي؟! نحن من نكتبه!

تجاهل حسنين ما قالته، بدا شاردًا حين قال:

- أنا نيسكا مُعلم نيرون!

دفعته في صدره بدلالٍ قائلة:

- تعرف أني لا أحب كلام الكتب!

نظر لها مبتسمًا، ثم ربت على خدها، ولأول مرة منذ بدأت علاقتهما طبع قبلة طويلة على خدها وودعها مغادرًا إلى القصر الملكي.

عند وصوله استقبله الجميع بالحفاوة المعتادة، وكان هو يريد أن يسلم عليهم جميعًا، ورغم انشغاله الكبير، لكنه منح وقتًا طويلًا للحديث مع العديد من أفراد القصر، لم يكن مسموحًا لهم بالحديث معه أو حتى مجرد الاقتراب منه، وعند الثالثة وبعدما انتهى من إعداد بعض التقارير والأوراق لعرضها على فاروق، اتصل بحسين حسني ليسلمه الأوراق ليعرضها هو على فاروق، ثم اتصل بصديقه الظاهر حسن

المحامي في المطرية، اعتذر عن الغذاء متحججًا بتعب مفاجيء وحاجته لقسط من الراحة.

وعند مغادرته قصر عابدين، دوى هزيم الرعد في سماء فبراير المظلمة، ثم هطلت الأمطار بغزارة، ابتسم حسنين في سعادة؛ كان يحب صوت الخرير وتلك الأجواء الشتوية الباردة، وثب إلى سيارته صائحًا في سائقه الأسمر:

- اطلع على البيت يا عبدالصمد.

وبينما كانت سيارته تجتاز كوبري قصر النيل في طريقها إلى الدقي، أقبلت سيارة نقل من الجهة المضادة، وانزلقت عجلاتها بفعل المطر، دارت حول نفسها في مشهد مخيف، ثم اصطدمت بسيارة حسنين من الخلف. كانت الصدمة شديدة، أمسك حسنين برأسه متألمًا قبل أن يلتفت ناحية السيارة النقل قائلًا بصوت مسموع: «يا ساتر! يا ساتر يارب». تقهقرت سيارة النقل إلى الخلف بعدما ارتبك سائقها، ودار نصف دورة حول سيارة حسنين محاولًا الابتعاد عنها، إلا أنه فوجيء بسيارة قادمة أمامه من الاتجاه المعاكس، سريعًا عاد إلى الخلف مرة أخرى ليصدم سيارة حسنين من جديد.كادت السيارة أن تسقط من فوق الكوبري من شدة الصدمة، لولا السور الحديدي وعناية السماء لسقطت في النيل، مسح السائق عبدالصمد وجهه، وتحسس ذلك الجرح النازف في جبهته، ثم التفت ناحية حسنين مطمئنًا: «سعادة الباشا! معاليك بخير؟». تسمر المسكين في جلسته عندما رأى حسنين حاسر الرأس بعدما سقط طربوشه، وقد انحنى قليلًا في مكانه، يضغط بيده على صدره، خيط رفيع أحمر يسيل من أنفه، وحين حاول أن يتكلم انبجست الدماء من فمه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استرخى فاروق فوق مقعد وثير في جناحه الخاص، بالبيجاما والروب دي شامبر، يطالع الملفات التي أرسلها له حسنين مع حسين حسني، بجواره منضدة عليها طبق عامر باللوز المقشر ودورق كبير ممتليء بعصير البرتقال. كان في قرارة نفسه متعجبًا من عدم حرص حسنين على عرض هذه التقارير عليه بنفسه كعادته، راودته فكرة أنه لم يعد في حاجة إليه، ربما كان يحتاجه حقًا فيما مضى لكنه الآن لديه ناهد ويوسف، كريم ثابت، حتى رغباته في مرافقة الجميلات كان بوللي يتكفَّل بتحقيقها، لكنه سريعًا ما طرد هذه الفكرة بعيدًا عن عقله عندما تذكَّر أمه؛ فمن سيكون لديه القدرة على شكمها وضبط لجامها إلا حسنين!. اقتحم الغرفة فجأة أحد الشماشرجية؛ جفل فاروق لوهلة ثم تمالك نفسه سريعًا، ورمى الشماشرجي بنظرة غاضبة، لكنه لم يتمكن من نهره عندما وجده ينتفض أمامه، ويخبره بفزع:

- حسنين باشا! تعيش أنت يا مولاي.

لم يدرِ وقتها بنفسه، ولا يذكر ما حدث بالتحديد، فقط شعر بدموعه الساخنة تنهمر على وجنتيه، كاد أن ينهار لكنه سيطر على مشاعره بسرعة عندما تذكر أوراق زواج أمه وحسنين؛ انتفض واقفًا على الفور ثم صاح: «أين السائق؟»

في الطريق إلى الدقي، أخبره كريم ثابت بما جرى، أعلمه أنه تصادف وقت الحادث مرور سيارة أحمد عبدالغفار باشا -وزير الزراعة- صديق حسنين وزميله أيام الدراسة في أكسفورد؛ أسرع عبدالغفار وحمل صديقه إلى مستشفى الأنجلو أمريكان بالجزيرة، ولكن حسنين كان قد أسلم الروح، فنقلوه إلى داره في الدقي.

وقف فاروق واجمًا لفترة لم يعلمها أمام الجسد المسجى أمامه لحسنين، رائده وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه، لم تبدُ عليه أثار ألم أو معاناة، فقط كان يبدو نائمًا. همَّ فاروق أن يوقظه أو يناديه، إلا أنه تمالك نفسه بعدما شعر بنظرات المحيطين به تحاصره، تعد عليه حركاته وتصرفاته، وبعد صمتٍ طويل قال متأثرًا: «مسكين يا حسنين». وبقدرة غريبة، تصنَّع الهدوء حين اتجه إلى غرفة مكتب حسنين، دخلها ثم أغلق الباب وراءه. بحث عن أية مذكرات يكون حسنين قد كتبها، أخذ عقد زواجه بأمه نازلي، وكل أوراقه المهمة، ثم فتح الباب وقال بنبرة هادئة: «الله يرحمه، تركنا وما زلنا في أشد الحاجة إليه..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«من فجعات القدر: وفاة أحمد حسنين باشا في حادث تصادم.. مصاب فادح. تعطَّف حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فأنعم بالوشاح الأكبر من نيشان محمد علي على اسم المغفور له حضرة صاحب المقام الرفيع أحمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان جلالة الملك، إشادةً بقيمة الفقيد العظيم وتقديرًا لما كان عليه من شديد الولاء والإخلاص، أمينًا ورائدًا ورئيسًا لديوان جلالته، ولما قدمه أيضًا للبلاد من أشرف الخدمات..»

بعد طلاق فريدة، أصبحت ناهد وصيفة في القصر بلا ملكة، صارت أحب الشخصيات إلى فاروق؛ لجمالها وذكائها وجرأتها. كانت نظرة واحدة منها إليه تكفيها لتعرف ما يجول بخاطره، وعلمت بخبرتها أن الملق الزائد -وإن كان غير بغيض إلى قلبه- فإنه يجعل المتزلف عنده شخصًا عديم القيمة لا يأبه له، فأقامت خليطًا متعادلًا بين الملق وجرأة المصارحة، فهي تتملق بقدر بسيط يرضي غروره؛ انجذب فاروق إلى أنوثتها وعقلها فلم يعد يفارقها.

كان يصحبها إلى رحلات الصيد في مصر، وإلى الكوت دازور في فرنسا وكابري في إيطاليا وقبرص ورودس على يخته الصغير فخر البحار، طلب منها أن تسافر معه بغير زوجها، لكنها أبت ونصحته ألا يفعل حتى لا ينكشف الأمر، وتصبح العلاقة مثار الأحاديث والشائعات. ولكن الأمر كان مكشوفًا للجميع، بعد أن صارت صحبتها لفاروق -رغم وجود زوجها- غير منطقية. وكانت في مصر تصاحب فاروق إلى نادي السيارات، تظل إلى جانبه على مائدة القمار حتى مطلع الفجر، ويوسف يتوسد كنبة في أحد صالونات النادي، ينام عليها حتى يوقظه أحد الخدم منبهًا إلى أن فاروق يتأهب للانصراف!. أصبحت تُدعَى مع فاروق إلى جميع حفلات أصدقائه الأثرياء، قدموا لها أنفس الهدايا؛ ففاروق يحبها كما لم يحب امرأة من قبل. صارت ذات تأثير بالغ عليه، خصوصًا بعدما نجحت في إقناعه بأنها الشخص الوحيد الذي يخبره بالحقيقة، لكنها في الواقع لم تكن صادقة، ولم تكن

كاذبة، كانت فقط حريصة في بعض المواقف، جريئة في البعض الآخر. وفي جميعها كانت تعرف كيف تختارها.

انتقلت ناهد ويوسف من شقتهما المتواضعة البسيطة إلى شقة فخمة، جربا رغد العيش لأول مرة منذ زواجهما، صالون من طراز لويس الرابع عشر، قاعة طعام إنجليزية، غرفة نوم وردية اللون وفق آخر صيحات الموضة الأوروبية. وبعد أسبوع زارها مصطفى، وما أن دخل الصالون حتى أطلق صافرة دهشة وإعجاب، ثم حين طلب أن يرى باقي الغرف هتف قائلًا: «ما كل هذا العز؟!». عاد إلى الصالون واسترخى فوق مقعد وثير مادًا ساقيه، ثم أخذ يغمز ويلمز بما تتناقله الألسنة حول علاقتها بفاروق، رغم ذلك لم تغضب ناهد، بل شعرت بالضعف أمام هذا الضابط صغير الرتبة!. فهي جريئة أمام فاروق، وعلية القوم يقبلون يدها وينحنون أمامها وتسيل لها عبارات الإطراء والملق من أفواه الجميع، أما مصطفى فلم يفعل، كانت تشعر أنه أقوى منها، وأحست بانجذاب غريب نحو هذا الجريء الوقح، وكان وجهها يحمر كلما التقى نظرها بنظره.

انفردت ناهد بنفسها بعد انصرافه، هزت رأسها كأنما تريد أن تنفض عنه تفكيرها في مصطفى، وبينما هي كذلك أفاقها رنين جرس الهاتف في غرفة نومها، وحين التقطت السماعة جاءها صوت فاروق مرحًا يعتذر عن عدم مرافقتها هذه الليلة، وعندما سألته عن السبب أخبرها بكل بساطة أنه مشغول مع الأميرة فاطمة طوسون!. كادت سماعة الهاتف تسقط من يدها، لكنها تمالكت أعصابها حتى أنهت المكالمة، طار من رأسها خيال مصطفى، ورحلت جاذبيته على أثر الصدمة. فكرت مرتعدة إن الأميرة فاطمة جميلة، وسليلة حسب ونسب؛ لابد أنها ستحل محلها في قلب فاروق. نظرت حولها بهلع، تجولت ببصرها في أرجاء غرفتها الوردية، وتردد داخلها سؤال أطار النوم من عينيها: «هل يزول كل هذا العز! وتذهب النعمة أدراج الرياح؟».

وكان الصباح أشد كآبة من الليل؛ فاروق لم يستدعها إلى جناحه كعادته مؤخرًا، عادت لمنزلها وقضت ليلة جديدة حالكة السواد. ثم مضت ثلاثة أيام لم ترَ فيها فاروق، لم تنقطع فيها عن التدخين والشراب، ظلّت سكرى طوال هذه الأيام الثلاثة، ويوسف يحاول متعجبًا تهدئتها، وإن كان في داخله يحدس السبب. وفي المساء التالي دق جرس هاتف غرفة النوم، كانت نصف نائمة ونصف سكرى، وحين سمعت صوت فاروق يطلب منها التوجه إلى جناحه صباحًا أفاقت تمامًا، إلا أنها تظاهرت بعدم المبالاة، لكن قلبها كاد يقفز من بين ضلوعها.

ولما جاء الصباح، أكملت زينتها، لبست الفستان الأحمر الذي يفضله، وعندما دخلت عليه لم تجد أن شوقه إليها برد، بل قبلها بحرارة وداعبها ثم أطرى على جمالها وقبل أن يسترسل وضعت سبابتها بدلال على شفته قائلة:

- مبروك يا مولانا!

رفع فاروق حاجبيه:

- مبروك! على ماذا؟

استدارت ناهد متوجهة إلى البار الصغير، أخذت تعد لنفسها كأسًا وفتحت لفاروق زجاجة بيبسي، ثم قالت وسبابتها تقلب قطعة ثلج عائمة في كأسها:

- خطوبتك للأميرة فاطمة!

صاح فاروق:

- خطوبتي أنا! وفاطمة! من أخبرك هذا التخريف؟

خرج صوتها يحمل دلالًا حين قالت بنعومة أنثوية تتقنها:

- الكل يتحدث عن هذا الموضوع!

ضحك فاروق كعادته كلما عرف أنه محور أحاديث واهتمامات الناس:

- إشاعات يا ناهد! لم يخطر ببالي أبدًا الزواج من فاطمة، اعتبريها مجرد صداقة.

ضحكت ناهد ثم غمزت بعينها:

- أعرف صداقتك جيدًا يا مولاي.

بادلها فاروق الضحك:

- تبدين غيورة هذا اليوم!

ثم جذبها من ذراعها حتى ارتمت في حضنه، مسح بكفه على رأسها قبل أن يقول:

- الحقيقة، أريد أن أتزوج فعلًا.

رفعت ناهد رأسها نحو وجهه قبل أن تسأل بميوعة:

- ومن سعيدة الحظ يا مولاي؟

رماها فاروق بنظرة ولهانة ثم قال:

- مشكلتي أنها متزوجة.

لمعت عينا ناهد قبل أن تقول:

- ولم تجد في كل نساء مصر إلا هذه المتزوجة؟!

تهدج صوت فاروق:

- لأني أحبها، ولأنها بذكائها وجمالها تصلح أن تكون ملكة مصر.

- وزوجها يا مولاي؟!

- سأطلب منه أن يطلقها.

- هل أعرفها؟

- أنتِ يا ناهد.

احتبست أنفاسها وكادت تسقط مغشيًا عليها، وضعت يدها على قلبها ثم قالت:

- تسخر مني يا مولاي؟!

طبع فاروق قبلة طويلة فوق شفتيها:

- ليكن حديثي معكِ سرًا، حتى أرتب بعض الأمور.

غادرت جناحه لا تصدق ما سمعته، طارت إلى غرفة نومها، أقفلت الباب ثم نظرت إلى المرآة، أخذت تتموضع أمامها في أوضاع مختلفة، الملكة تبتسم، تحيي الجماهير الغفيرة، الملكة تفكر. صارت تضحك وتقفز وتروح وتجيء، ثم مدت جسدها على السرير تفكر في زوجها، مسكين يوسف، قبِل مُكرَهًا أن أكون عشيقة فاروق ليعيش في جاهٍ ملوَّث، فهل يقبل طلاقي ليمضي حياته في ركنٍ سحيق من النسيان. تمتمت بصوت خافت: «لن أنساه، سأطلب من فاروق أن يكافئه بمنصب كبير..»

وصارت أيامها بلون الورد، تمشي وكأن قدميها لا تمسان الأرض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتفض فاروق غاضبًا، ألقى بمجلة روز اليوسف في وجه قائد جيشه حيدر باشا؛ فالمجلة لم تتوقف منذ أيام عن شن حملة صحفية ضخمة، أطلقت عليها اسم «فضيحة الأسلحة الفاسدة»!.

بدأت النار تسري في الهشيم فور عودة الجيش والمتطوعين إلى مصر، بعد اتفاق الهدنة مع إسرائيل، واشتد اللغط بين الناس حول المتسبب في هزيمة الجيش، أخذت الألسنة تلوك القصص عن الحوادث التي تعرَّض لها أفراد الجيش لفساد الأسلحة والذخائر التي كان يستخدمها أثناء القتال!. انتشرت الحكايات أن السبب في هذه الهزيمة يرجع إلى فساد القائمين على شئون الجيش، وفي مقدمتهم فاروق وحاشيته من المسيطرين على توريد السلاح ومعدات القتال للجيش؛ اغتنموا فرصة الحرب وتربَّحوا من شراء لوازم الجيش ولو بغض الطرف عما بها من عيوبٍ جسيمة!. ومع كثرة الإشاعات وتكرارها ظهرت حركة بين صغار الضباط الساخطين على الأوضاع، وعلَت الأصوات بضرورة محاسبة الفاسدين، المتسببين فيما جرى أثناء حرب فلسطين.

بدأ الأمر كله قبل عدة أشهر حينما أعلنت إنجلترا عن قرب موعد جلائها عن فلسطين، ونادى الجميع بضرورة تدخُّل مصر بوصفها أكبر الدول العربية لمساعدة أهل فلسطين في تحقيق أملهم في الحفاظ على بلدهم من سيطرة الصهاينة والحيلولة دون حلول عصاباتهم محل القوات البريطانية.

وفي جلسة سرية، عرض النقراشي باشا رئيس الحكومة الموقف على البرلمان الذي وافق بالإجماع على ما كان يطالب به الرأي العام المصري والعربي من وجوب الحرب لتحرير فلسطين، كما وافق البرلمان على إعلان الأحكام العرفية في

طول البلاد وعرضها. وأبدى فاروق اهتمامًا كبيرًا بمتابعة الموقف، صدرت تعليماته إلى حيدر باشا بموافاته بكل الأخبار، كما أصدر تعليماته بالتزام التقشف في جميع النواحي لتوفير حاجات الجيش في الميدان.

واجتاز الجيش المصري حدود فلسطين، احتل غزة ثم زحف إلى المجدل، ومنها إلى بئر سبع، فاحتل المنطقة بأكملها بينما وردت الأخبار بأن جيش الأردن قد تقدم إلى ما بعد القدس في طريقه نحو تل أبيب، لكن سرعان ما قرر مجلس الأمن وقف القتال.

وعندما عاودت مصر استئناف القتال بعد انتهاء مهلة مجلس الأمن، فوجئت بتوقف الأردن والعراق عن مواصلة الحرب! وانسحب الجيش الأردني من الرملة واللد!. وأصبحت القوات المصرية وحدها في مواجهة الصهاينة، بعدما منح انسحاب الأصدقاء من المعركة ميزة للعصابات الصهيونية، فاستولوا على مواقع القوات الأردنية وبدأوا يشنون منها حملاتهم على الجيش المصري. استمرت حملات القوات الإسرائيلية على المواقع المصرية حتى تمكنوا من الاستيلاء على بئر سبع، ثم حاصروا القوات المصرية في الفالوجا مما اضطرها إلى إخلاء أشدود والمجدل. وكانت الطامة الكبرى حين قام قائد الفيلق العربي جلوب باشا بسحب القوات العربية من منطقة رأس النقب وأم الرشراش على خليج العقبة فاحتلتها القوات الإسرائيلية!.

التقط حيدر باشا المجلة قبل أن تُصيب وجهه، ثم خرج صوته بنبرة حاول أن تكون هادئة قدر استطاعته:

- مولانا أرجو أن تتمالك أعصابك!

صرخ فاروق في غضب:

- أنا فاسد! وفرت لكم كل شيء؛ ماذا أفعل؟ أحارب بنفسي؟!

جز حيدر على أسنانه قبل أن يقول بهدوء يخفي تحت سطحه بركان غضب:

- مولانا يعرف تفاصيل كل شيء، لم يُقصِّر جندي واحد في واجبه!

هتف فاروق:

- لا شأن لي بهذه الحجج، لا أريد أن أقرأ مثل هذه السخافات مجددًا.

وقدم حيدر بلاغًا إلى النائب العام للتحقيق مع مجلة روز اليوسف فيما تنشره بخصوص ما جرى في حرب فلسطين، كان الأمر بما يشبه التعبئة العامة لرجال النيابة؛ فالتحقيق امتد إلى جميع نفقات حملة فلسطين وصفقات الطائرات والذخائر وسلاح البحرية وأكثر من مائة مسألة!. استمر التحقيق الدقيق على مدى نَيفٍ وثلاثة أشهر تقريبًا، وأسفرت هذه الجهود الضخمة عن عدم صحة جميع التهم التي وُجِّهت إلى رجال الحاشية، وانتهى النائب العام بحفظ التحقيقات وذكر في قراره ما نصه:

«أنه تبين أن كل ما أُسند إليهم غير صحيح..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الساعة قد اقتربت من التاسعة مساءً عندما تهادت سيارة كاديلاك سوداء في شارع قصر النيل، توقفت أمام نادي السيارات. قفز السائق الأنيق من مكانه خلف عجلة القيادة، ثم فتح الباب الخلفي منحنيًا، نزل فاروق ببطء ملكي، ممسكًا بين أصابعه بسيجاره الفاخر مشتعلًا، بين الحين والحين يسحب منه نفسًا، ثم ينفث سحابة كثيفة تغطي وجهه الممتليء، تختلط رائحتها المميزة برائحة عطره الفرنسي الباهظ. تحرك بثقة عابرًا باب النادي، وخلفه كان الجميع يهرول، والهمسات تسري في الهواء: «جلالة الملك!».

اتجه فاروق دون تفكير إلى صالة القمار، دخلها مسرعًا ثم توجه بخطوات متعجلة إلى مائدة مستديرة خضراء، تتوسط القاعة، جلس على الكرسي الوحيد الشاغر، بدا أكثر ارتفاعًا من باقي مقاعد المائدة. هلل الجلوس لحضوره، التزمت شويكار بمكانها إلى يساره. تم توزيع الورق، وبدا فاروق منهمكًا في متابعة اللعب، لا طمعًا في الفوز فقد كان متأكدًا من سماحهم له دومًا بالفوز، لكن فقط لمتابعة ردود أفعال الحضور على أوراقه وتعليقاته الطريفة التي لم يتوقف عن إطلاقها. لم تلعب شويكار، واكتفت بالمشاهدة والحديث مع فاروق في الوقت الذي يغلق فيه أوراقه، أو الدور الذي لا يشترك فيه، وبينما كان فاروق يرشف من كأس البيبسي أمامه وجدت الفرصة سانحة لتجاذب أطراف الحديث معه:

- مولانا! سمعت أنك تبحث عن عروسة جديدة!

ابتسم فاروق بينما كانت عيناه تتابعان الدور الحامي فوق المائدة الخضراء:

- معلوماتك دقيقة كالعادة يا سمو الأميرة.

بتملق ظاهر ومداهنة فاقعة قالت:

- أرجو أن يكون حظك أفضل هذه المرة يا مولانا.

رمقها فاروق:

- تأكدي أن هذه المرة ستكون مختلفة تمامًا.

وقبل أن تكمل شويكار حديثها، اقترب كريم ثابت من أذن فاروق ثم همس بعدة كلمات؛ انتفض فاروق على إثرها واقفًا ثم غادر على الفور، وحين وصل إلى السيارة صرخ في سائقه محتدًا:

- اطلع على قصر الدقي!

دخل فاروق القاعة الكبرى لقصر جده لأمه، تسمرت قدماه عند الباب؛ رأى أمامه في صدر القاعة صورة لحسنين بالحجم الطبيعي وقد جللت بالسواد، وأمامها على الأرض جلست نازلي وحولها بعض الهوانم من صديقاتها وحاشيتها وخادمات القصر، جميعهن متشحات بالسواد، وعلى جانبي القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخًا يتلُون الأوراد ويدعون بالرحمة لحسنين.

توقف فاروق لحظة؛ بعد أن عقدت الدهشة لسانه، ثم أشار بيده غاضبًا للمشايخ بالتوقف ففعلوا، اندفع بعدها إلى حيث كانت تجلس أمه، هتف فيها مشيرًا بيده للصورة الكبيرة والسيدات والمشايخ:

- ما هذا؟ ولماذا؟ مات! حسنين مات!

التفتت نازلي إليه كنمرة شرسة، كانت ما تزال جالسة على الأرض، ترمقه بنظرة كلها كراهية وغل، ثم انتفضت واقفة على قدميها، انفجرت في وجهه صائحة:

- هذا صدقة على روح حبيبي.

لم يصدِّق فاروق أذنيه فصرخ فيها:

- مات! حسنين مات وقُضِي أمره!

صرخت فيه بحدة:

- مات بعدما جعلك ملكًا!

هتف فاروق بشماتة:

- مات بعد ما دنَّس شرفي.

دفعته في كتفه بغلظة:

- مات وحطم قلبي!

لم يصدق فاروق نفسه عندما دفعته أمه في صدره مرة ثانية، لم يعرف ماذا يفعل، لكنها لم تمهله، استدارت عائدة إلى جلستها الأولى:

- حافظ لك على عرشك! عن قريب سترى ما سيحدث لك بعده!

هز فاروق رأسه صامتًا، جزَّ على أسنانه بعدما أيقن بعدم جدوى مناقشتها، ثم استدار مغادرًا. التفتت نازلي إلى المشايخ المتسمرين في جلستهم، أشارت لهم بكفها:

- يمكنكم أن تكملوا الآن.

أسابيع معدودة بعد هذه الليلة، غادرت نازلي إلى أوروبا للعلاج والراحة كما زعمت، لكنها غادرت وفي نيتها ألا تعود مرة أخرى، وفاروق كان يعلم جيدًا أنها لن تعود، لكن ما العمل؟ رحل من كان بإمكانه السيطرة عليها وإقناعها بالعدول عما تنتويه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تركب ناهد الغرور، بعدما أخبرها فاروق برغبته في الزواج منها، وظلَّت في بساطتها المعتادة مع أصدقائها ورجال القصر. مضى عامٌ كامل وهي تتنقل كالفراشة بين زهور أحلامها الوردية، حتى استدعاها فاروق من منزلها في يومٍ شتوي ممطر.

في تلك الليلة تزيَّنت كما لم تتزين له من قبل؛ فيومها المرتقب قد حل موعده، ستُزف إلى ملك مصر والسودان قريبًا. دارت الأفكار في رأسها بينما كانت تتمم زينتها، ماذا ستقول ليوسف، ربما يرفض تطليقها، لكن ليذهب للجحيم، فاروق سيأمره، لكنه ربما يبكي، لا يهم ستكفكف دموعه وتُربت على رأسه، أيقنت في النهاية أنه من المؤكد سيُسَر للمنصب الكبير الذي سيناله بسببها!.

كعادتها دخلت ناهد على فاروق مبتسمة، وبعدما أطرى عليها أطال النظر إليها، تجمَّدت ابتسامتها حين لاحظت أن إطراءه كان أجوف، غير صادق. أشار لها بالجلوس على مقعد وثير، لا إلى جواره على الكنبة كعادته وقت أن كان يرغب في الالتصاق بها. بدأت تتوجس شرًّا، خصوصًا وأنه لم يقبلها! جلست على طرف المقعد، راقبته بعينين قلقتين. مرت لحظات طويلة، وهو ساكن يدخن سيجاره، ثم دسَّ يده في جيبه وأخرج مظروفًا أبيض، مد يده به إليها، اضطرت أن تتقدم هي نحوه لتتناوله، سمعت صوته يقول بلهجة خشيَ قلبها أن يصدق أنها رسمية:

- افتحيه.

بأصابع مرتعشة فتحت ناهد المظروف، أخرجت منه صورة فوتوغرافية لفتاة صغيرة، لها وجه بريء أشبه بوجوه الأطفال؛ عقدت ناهد حاجبيها:

- من هذه؟!

رمقها فاروق بينما كان يتظاهر بالاستغراق في تدخين سيجاره:

- تعجبك؟

ضيَّقت ناهد حدقتيها، وبدأ صوتها يختنق:

- لا بأس بها، لكنها صغيرة للغاية! من هي؟

نفخ فاروق دخانه في الهواء:

- ألا ترينها جميلة!

نفذ صبرها فخرج صوتها مبحوحًا:

- من تكون؟

ببرودٍ وصلف أجاب دون أن ينظر إليها:

- زوجتي المقبلة.

دار رأسها؛ أمسكت بمسند المقعد خشية السقوط على الأرض، خُيِّل إليها أن صوت دقات قلبها صار مسموعًا في فضاء الغرفة، لكن فاروق كان يحدِّق فيها، لا تبدو على نظراته أية شفقة أو رثاء. قطع فاروق ألمها حين قال أنه يريد منها أن تعين عروسه الجديدة في أشياء كثيرة؛ أخبرها أنها طالبة في أولى مراحل التعليم الثانوي، لم تدخل الحياة بعد، يريد منها أن تختار لها أجمل الملابس، أن تعلمها كيف تخاطب الناس، كيف تمشي وكيف تجلس. صمت للحظة قبل أن يقول بهدوء:

- كنت وصيفة بلا ملكة! والآن أصبحت وصيفة الملكة، وهذا شرف لابد وأن يسعدك.

تعطَّلت حواس ناهد تمامًا، وبدا أن ملامحها قد أصيبت بالشلل، على وجهها ارتسم ما يشبه ابتسامة بلهاء، عينيها كانتا تنطقان بما تعانيه، وللحظة لمح فاروق مدى الألم الذي تمر به، لكنه لم يبالِ، بدا أشبه بقائد يطلب من أحد أتباعه اقتحام حقلٍ للألغام!. أفاقت ناهد من سباتها على صوته يقول بنبرة آمرة:

- السيارة ستعيدك لمنزلك، من الغد تبدأين في تنفيذ ما أمرتك به.

لم تصدق أذنيها حين سمعته يأمرها لأول مرة، نهضت وقدماها لا تقدران على حملها، كأنها تجرجر روحها المهلهلة، إلا أن فاروق أبى أن يتركها ترحل دون أن يبعثر ما بقي من كرامتها، لحقها صوته عند باب الغرفة:

- اسمها ناريمان، ناريمان صدقي.

عادت إلى شقتها، محطمة ومنكسرة، تناولت زجاجة ويسكي وكوبًا فارغًا، فتحت الزجاجة ثم ذهبت إلى غرفة نومها وأغلقت بابها، أخذت تفرغ الويسكي في الكوب ثم ترسله في جوفها، وتعود لتملأ ثم تشربه، هكذا حتى أنهت على نصف الزجاجة في أقل من ربع الساعة. أصيبت بسُكْرٍ شديد وبدأت تصيح وتبكي وتقذف على الأرض والحائط بكل ما تستطيع يدها المرتعشة أن تناله. سمعت خادمتها صوت صراخها، ولم يكن يوسف قد عاد من عمله بعد؛ فأخذت تدق الباب، لكن ناهد لم تكن تسمع أو تعي شيئًا، انتهت من نوبة هياجها ثم ارتمت فوق السرير بغير شعور. وبعد ساعة حضر يوسف، فاستقبلته الخادمة عند الباب بما كان من ناهد، فاندفع ناحية غرفة نومه، وأخذ يدق الباب بعنف، وكلما لم يسمع ردًا زاد دقه على الباب وصراخه، حتى أفاقت ناهد، قامت مترنحة حتى وقفت مستندة وراء الباب، خرج صوتها متلعثمًا من شدة السكر:

- دعني وحدي!

جاءها صوت يوسف حادًا:

- افتحي وإلا حطمت الباب.

فتحت ناهد الباب ثم عادت مترنِّحة إلى السرير، ارتمت فوقه واضعة وسادة على وجهها، جلس يوسف على حافة السرير، أمسك يدها وقبل أن يتكلم صرخت في وجهه بحدة:

- ابتعد عني يا نَحْس!

لم يرُد يوسف، بقي صامتًا في ذهول، بينما استمرت هي في نوبة صراخها:

- لو لم أتزوجك لكنت اليوم ملكة مصر!

قالت عبارتها الأخيرة ثم انخرطت في نوبة بكاء، حاول يوسف تهدئتها، اقترب منها ليُربت عليها ويحتضنها، لكنها دفعته بقسوة ثم صرخت مجددًا:

- أكرهك، ابتعد عني وإلا ألقيت بنفسي من النافذة!

تركها يوسف مجبرًا، ذهب إلى الصالون وجلس يدخن غليونه. وفي الصباح أفاقت ناهد، أخذت تتلفت حولها لفترة، ثم نهضت بصعوبة، نظرت إلى نفسها في المرآة، أشعلت سيجارة، شردت طويلًا أمام انعكاس صورتها، وبعد فترة ارتسمت على وجهها ابتسامة غريبة، بعدما حسمت أمرها وعزمت على الانتقام من فاروق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«مأساة القاهرة..تدمير فندق شبرد وبنك باركليز وصفوة المتاجر الكبرى ومعظم دور السينما، الحريق يندلع في ٢١٧ مؤسسة عامة مصرية وأجنبية ويلتهم بعض موظفيها ونزلائها..»

أقبلت ناهد بحماسة غريبة على خدمة ناريمان، أخذت تصحبها إلى أكبر دور الأزياء، متاجر العطور، محلات الأحذية والقبعات. حتى مصفف شعرها، كانت تشير إليه بما يجب أن يصفَّف عليه شعرها. فعلت ذلك لأنها تريد أن تظل موضع ثقة فاروق، وإن رحلت عن القصر فلن تستطيع أن تنفذ خطتها، لكنها في ذات الوقت اندفعت إلى أحضان مصطفى، أصحبت عشيقته!.

أمست حياتها منحصرة بين عملها داخل القصر، ومقابلاتها المستمرة لمصطفى في شقتها!. كان يطلبها في اليوم الواحد ثلاث أو أربع مرات، يناجيها بغرام مصطنع، وحديث بالغ العاطفية والبذاءة، وتبادله هي ذات الغرام المصطنع والحديث الخليع. كانت لا تعرف الحب، إنما تعشق المال والسلطة والجاه، عرِف مصطفى فيها ذلك جيدًا؛ أوهمها أنه قائد التنظيم السري للضباط الأحرار، وسعِدت بذلك سعادة بالغة؛ فإذا كان فاروق قد غرَّرَ بها ولم يتزوجها؛ فلا مانع لديها من أن تصبح زوجة المستقبل لمن سيحل محله!. لم تتردد في القيام بأي فعل يطلبه منها مصطفى، حتى أنها ذات يوم سرَّبت أحد منشورات الضباط الأحرار إلى داخل القصر، وضعته على مكتب فاروق شخصيًا!. وفي اليوم التالي لم تتمالك نفسها من الابتسام عندما سمعت الهمس دائرًا بين الخدم حول ما حدث عند اكتشافه لوجود المنشور. فليلة البارحة دخل فاروق مكتبه ليقرأ بعض الملفات، وحين فتح أحدها وجد ورقة لم يصدق عينَيه حين قرأها:

«أيها الجيش الباسل، ويا شعب مصر النبيل، إن ملكًا فاسدًا فاجرًا يحكمك، وقد آن أوان الخلاص منه..»

لم يكمل قراءة الورقة، وضع كفه بأكمله على لوحة أزرار الأجراس، دقها في عنف شديد، وأخذت الأجراس ترن دون انقطاع، ومعها تزداد عصبيته. هرع موظفو القصر وكبار الضباط والخدم إلى غرفته، وحين دخلوا عليه وجدوه في حالة لم يعهدوه عليها من قبل، كان صوته يهدر من شدة الغضب:

- خونة! سأقتلكم جميعًا.

تسمّر الجميع في أماكنهم دون رد؛ فصاح من جديد:

- تكلموا! من وضع هذه الورقة؟

تجرأ رئيس حرسه على التقدم نحوه خطوتين:

- هل يأذن مولاي باطّلاعي على هذه الورقة؟

قذف فاروق بالورقة نحو حارسه في قرف، طارت الورقة لمسافة بسيطة ثم تهاوت فوق الأرض، التقطها رئيس الحرس ثم شرع يقرأ ما فيها، وكلما تقدمت به عينيه سطرًا ارتجفت أوصاله، ازداد رعبه حين رأى فاروق يصوب إليه نظرات الغضب ثم يصرخ في وجهه:

- أنت المسئول عن انعدام الحراسة.

تحرَّك رئيس الحرس على الفور، وبدأ في تشكيل الفرق لمعرفة من المتسبب في هذه الكارثة التي تكاد تطيح برقبته، قادته المعلومات أن هذه المنشورات تُطبع في ثكنة فرقة المشاة المعسكرة في المعادي، راقب رجاله الثكنة من الخارج، وجدوا مصطفى يدخلها -وهو ليس من ضباطها- يمكث زمنًا ثم يخرج حاملًا حقيبة جلدية منتفخة، كانت فارغة عند دخوله. وعندما اختمرت الشكوك في رأسه، أمر رجاله بدخول الثكنة وتفتيشها؛ وكانت المفاجأة، عثروا بالفعل على المطبعة وعلى المنشورات.

تم القبض على ستة ضباط كانوا متواجدين حول المطبعة، وبعد ساعة واحدة فقط كان مصطفى مقبوضًا عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكد مرتضى المراغي يضع قدمه داخل مكتبه الجديد حتى رن هاتفه، قرن حاجبيه في ضيق؛ فالمكالمات لم تتوقف منذ البارحة عندما اتصل به ديوان الملك ليخبره بتعيينه وزيرًا للداخلية. كانت ذكريات الأمس ما تزال مطبوعة في ذهنه، حتى البارحة كان محافظًا للإسكندرية، توالت التقارير على مكتبه تخبره بما جرى في الإسماعيلية من تصادم بين قوات الشرطة المصرية المسلحين بالبنادق والقوات البريطانية بدباباتها ومدافعها الثقيلة!. اتخذ قراره على الفور بسيطرة الجيش والبوليس على مواقع الحراسة وجميع مرافق الإسكندرية؛ فلم يحدث أي شغب أو حوادث في ذلك اليوم. إلا أن الحال في القاهرة كان مختلفًا. انتبه مرتضى من شروده حين دخل أحد معاونيه، حياه باحترام:

- ألف مبروك معالي الباشا، إن شاء الله تكون فترة معاليك...

قاطعه مرتضى بضجر:

- أحضرت الملف الذي طلبته!

تنحنح الضابط محرجًا، وضع الملف أمام رئيسه ثم غادر، أمسك مرتضى الملف الضخم ثم أخذ يقرأ كل التفاصيل التي كانت غائبة عنه.

في الثانية من صباح السبت الموافق ٢٦ يناير ١٩٥٢ أعلن عمال مطار فاروق والجنود الموجودون فيه العصيان؛ أحاطوا بأربع طائرات تابعة لشركة الخطوط البريطانية احتجاجًا على ما حدث لقوات البوليس في الإسماعيلية!. وقبل أن تشرق شمس ذات اليوم، حدث تمردٌ آخر في معسكرات جنود بلوكات النظام بالعباسية، خرج جنود الأقاليم يحملون أسلحتهم، متجهين من العباسية إلى الأزهر، ثم ميدان محمد علي حيث انضم إليهم بعض عساكر الجيش، إلى ميدان الإسماعيلية، ثم إلى جامعة فؤاد، واختلط البوليس بالطلبة وأخذوا يطلقون النار في الهواء. انتشرت أخبار المظاهرات في معظم شوارع وميادين القاهرة، وزادت حماسة الناس، لكن سرعان ما تحولت المظاهرات الساخطة إلى جماهير حارقة.

كانت البداية في كازينو بديعة، ثم اشتعلت سينما ريفولي، ثم سينما مترو ومطعم إكسلسيور. ثم امتدت أعمال الحريق والسلب والنهب إلى بنك باركليز ثم سينما متروبول، ومحلات شيكوريل وجروبي. ومن هناك طالت ألسنة اللهب ناصية شارع الألفي مع شارع إبراهيم باشا حيث كان فندق شبرد، كانت الحرائق مفزعة ومفاجئة للدرجة التي كان فيها النزلاء يلقون بأنفسهم من الطوابق العليا، والنار مشتعلة فيهم.

ألقى مرتضى بالملف من يده في غضب، وعقله لا يتوقف عن التفكير، كان يحاول البحث عن صاحب المصلحة المباشرة فيما حدث، وأسئلة كثيرة كانت تتقافز في رأسه دون جواب يشفي غليله. كان أهمها أين كان المسئولون عن أمن مصر في ذلك الوقت؟ وأين كان حيدر باشا قائد الجيش؟!. ضرب مكتبه بقبضته حين تذكر أن حيدر باشا في ذلك الوقت كان جالسًا إلى جانب فاروق في المأدبة الحافلة التي أقامها في ذلك اليوم دون مناسبة، دعا إليها قائد الجيش وكبار الضباط، والمسئولين عن أمن القاهرة. وهم الذين كان مفروضًا تواجدهم في مواقع عملهم لإنقاذ القاهرة من الكارثة التي تعرضت لها. لكن الجميع كان جالسًا على مأدبة فاروق، والقاهرة تحترق!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحسَّ محمد نجيب نفسه معلقًا بين السماء والأرض، وليس جالسًا على مقعد جلدي في غرفة مدير مكتب قائد الجيش، ينتظر مقابلة حيدر باشا الذي استدعاه على وجه السرعة. كانت الآمال العريضة تداعب خياله بترقية عاجلة، أو نيشان على أقل تقدير؛ لما بذله من جهد كبير في الفترة الأخيرة. فمنذ توليه مسئولية سلاح الحدود، لم يتهاون مع المهربين الذين أغرقوا مصر بالحشيش، كانت مهمته شاقة جدًا؛ لأن قواته لم تكن تكفي لتغطية آلاف الكيلومترات من الصحراء عبر تركيا فسوريا فلبنان إلى غزة ثم قناة السويس، وكان الجنود غالبًا يستخدمون الجمال أو سيارات الجيب!. ورغم ذلك، تمكنوا تحت قيادته من ضبط كميات كبيرة من المخدرات، وتضييق الخناق على المهربين، قبضوا على عدد كبير منهم، ومن استطاع الفرار ألقى بحمولته ونجا.

لكن المشكلة الحقيقية التي كانت تواجه نجيب ليست هؤلاء المهربين، بل من يحركهم من خلف الستار؛ ففي القصر حاشية قوية النفوذ، تريد أن تثرَى، وجدت أن الثراء السريع المضمون في تجارة المخدرات، التي كسدت منذ تولَّى نجيب منصبه، لذلك وضعت نصب أعينها هدفًا رئيسيًّا، إبعاد نجيب عن منصب قائد سلاح الحدود، والمجيء برجل آخر يُمَكِّن قوافل التهريب من المرور خلال دروب الصحراء وبين الجبال التي لا تكون فيها نقاط مراقبة ولا دوريات جنود، فأخذوا يشُون بنجيب لدى فاروق بأنه غير مخلص، يتصل بالضباط الأحرار، ويسب العائلة المالكة، حتى أوغروا صدر فاروق عليه!.

«لواء. محمد نجيب! حيدر باشا في انتظار سيادتك..»

انتفض محمد نجيب واقفًا، عدل من هندام زيه الرسمي، وضع الكاب فوق رأسه، تحرك بخطوات منتظمة في اتجاه غرفة قائده، وابتسامة عريضة تعتلي وجهه الأسمر، إلا أنها سرعان ما اختفت حين وجد حيدر باشا واجمًا متصلب الملامح، لم يستقبله بالبشاشة التي اعتادها منه قبل ذلك، لم يأذن له حتى بالجلوس، أدى له التحية العسكرية وفقًا للتقاليد؛ فنجيب يهتم كثيرًا بتقاليد العسكرية المصرية الراسخة في وجدانه، قابله حيدر بتحية فاترة قبل أن يقول:

- مبروك يا سيادة اللواء! تم تعيينك قائدًا لسلاح المشاة.

تسمَّر نجيب في وقفته دون رد، كانت صدمته كبيرة؛ لم يتصور أبدًا أن تكون مكافأته أن يُنقَل لمنصبٍ أقل!. خرج صوته مبحوحًا حين قال متسائلًا:

- حيدر باشا! هل صدر مني خطأ لا أعرفه؟

مط حيدر شفتيه قبل أن يقول بصرامة:

- تعليمات يا سيادة اللواء، أوامر مولانا.

أطرق نجيب برأسه إلى الأرض، فهم أنها وشاية غرضها إبعاده عن دروب التهريب التي يخبُر مسالكها جيدًا، هزَّ رأسه للحظة قبل أن يقول بتحفظ:

- هل لي أن أسأل من سيحل محلي في سلاح الحدود؟

أومأ حيدر برأسه قبل أن يقول في لا مبالاة:

- اللواء حسين سري عامر.

تأكد لنجيب أن مراد الحاشية قد تحقق في تعيين هذا الرجل؛ لصلاته الوطيدة بالكثير منهم، لكنه أيضًا كان على يقين من أن هذا القرار سيسبب سخطًا واسعًا لدى صغار الضباط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل خبر القبض على مصطفى إلى ناهد، علمت من صديق له بنبأ تفتيش الثكنة وخبر احتجازه، أخبرها الصديق الذي كان أيضًا من الأحرار أن مصطفى سيكون

مصيره السجن بلا ريب، وأن أمر الكثيرين سيفتضح. خرج صوته أقرب للتضرع حين ترجاها:

- أرجوكِ يا سيدتي! لابد أن تفعلي شيئًا، نحن نعلم حظوتك عند الملك!

طار لب ناهد فزعًا؛ حبيبها سيدخل السجن، الأدهى أنها كانت تعلم فاروق جيدًا، ربما كانت تأخذه الحمية فيطلب إعدامه!. كيف ستكون حياتها وهو بعيد عنها؟ وفاروق الذي دمر حياتها من سينتقم منه؟!. كانت في قرارة نفسها مقتنعة بما أخبرها به مصطفى من أنه قائد الضباط الأحرار، وها هو ذا يثبت أنه يطبع منشوراتهم، وهناك احتمال كشف أمره، فهل هناك برهان أكثر من ذلك على صدقه!. هدأت قليلًا وأخذت تفكر، هل تذهب إلى فاروق وتحاول تخليص مصطفى، لكنها سرعان ما أبعدت هذا التفكير خشية أن تزيد من شكوك فاروق، الذي كان قد بدأ يشك في وجود علاقة بينها وبين مصطفى. بعد فترة خطر لها خاطر، تناولت معه سماعة الهاتف، طلبت حيدر باشا قائد الجيش في مكتبه؛ رد عليها بترحاب واضح، فبادرت دون مواربة:

- حيدر باشا! كيف سمحت للبوليس بتفتيش واحدة من ثكناتك؟

رد حيدر بتحفظ، رغم ذلك لم يستطِع إخفاء حنقه من الأمر:

- لم يكن البوليس، كانت تعليمات حرس مولانا.

استمرت ناهد في محاولتها:

- إذن فأنت راضٍ عما جرى!

هتف حيدر محتدًّا:

- لا، ولكن ماذا أصنع؟

خرج صوت ناهد يحمل قدرًا من السخرية:

- حيدر باشا يقول ماذا أصنع؟! هل أصبحت تخاف لهذا الحد؟

تحولت نبرته إلى الخشونة:

- أنا أخاف! ماذا تقولين يا ناهد هانم؟

شعرت ناهد بقرب تحقيق هدفها:

- إذن دعنا نحتجّ لدى مولانا على ما حدث.

صمت حيدر لوهلة مفكرًا ثم قال بنبرة خافتة:

- لكن يا هانم، المنشورات تحمل إساءة واضحة لمولانا، وتدعو إلى الثورة!

فقدت ناهد أعصابها فصاحت:

- كلام غير صحيح، لابد أن أحد العاملين في القصر هو من قام بهذه المؤامرة، أنا أعرف هؤلاء الضباط، هم أكثر الناس ولاءً لمولانا.

لم يرُد حيدر على عصبيتها ولزم الصمت، بينما سكتت هي للحظات ثم خرج صوتها هادئًا:

- سأذهب لمولانا، وأطلب منه الإفراج عنهم فورًا، وعليك أن تتبعني.

تقابلا في القصر، ثم دخلا على فاروق، أقنعاه بإخلاص الضباط المقبوض عليهم، وكانت النتيجة الفورية هي أمر ملكي بالإفراج عنهم. ومنذ هذه اللحظة، بدأت العلامات المبهمة التي تسيطر على أجواء الحاضر، تشكل كتابة واضحة في سماء المستقبل؛ ففاروق تتصرف فيه امرأة.. يطاوعها في كل ما تشير به، وقائد الجيش يتقبل توجيهاتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثيرٌ كبيرٌ على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها.. وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا، وتولّى أمرنا في داخل الجيش رجالٌ نثق في قدرتهم وفي خُلُقِهم وفي وطنيتهم، ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.. وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردًا من أية غاية.. والله ولي التوفيق.»

علَّق مرتضى المراغي سماعة الهاتف بعيدًا عن أذنه لحظات، كان عقله يحاول أن يستوعب ما سمعه: «الجيش يرتع بمدرعاته وأسلحته في شوارع القاهرة الآن!». ولما عجز أنزل السماعة ببطء شديد، وضعها على حامليها الذهبيين، أنهى المكالمة دون أن يعقب. ظل واجمًا في مكانه فوق كرسيه لفترة، كان يشعر ببرودة تسري في أطرافه، أصبح الهواء ثقيلًا من حوله للغاية، رمى بصره ببطء تجاه المروحة الحديدية، تأمل ريشاتها السوداء الأربع وهي تدور بسرعة؛ تحرك الهواء لكنه رغم ذلك كان يأتي إليه بطيئًا، لم يعرف ما إذا كان السبب في ذلك هو سخونة أجواء يوليو، أم أن السبب الحقيقي هو ذلك الغليان الذي يكاد يفجر دماغه.

ورغم أنه كان يتوقع حدوث ذلك، إلا أن عقله رفض التصديق؛ فأمسك بالسماعة من جديد يطلب قائد الجيش حيدر باشا، إلا أنه لم يستطع الوصول إليه؛ أخذ يسب ويلعن في اليوم الذي فرضه فاروق على الجميع قائدًا للجيش. طلب رقم إسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية والذي عيَّنه فاروق وزيرًا للحربية بالأمس فقط! جاءه صوته هادئًا للغاية حين قال ببرود:

- مراغي باشا! لا داعي للقلق؛ الحركة محدودة والضباط أعلنوا ولاءهم لجلالة الملك، الأمور هادئة وكل شيء...

لم يمهله المراغي وانطلق صوته هادرًا، يُكيِّل له من السباب والإهانات حتى بحَّ صوتُه قبل أن يغلق الخط بعنف كادت معه السماعة أن تتحطم. أخذ بعدها يلف ويدور في غرفة مكتبه، لا يعرف كيف يتصرف في هذا الموقف العصيب، هل يأمر قوات البوليس أن تشتبك مع الجيش إذا لزم الأمر؟ أم يجب عليه أن يعيد ترتيب حساباته وينضم لهذه الحركة لعله يستفيد في المستقبل القريب!.

دقائق قليلة كانت كافية بالنسبة إليه لحسم الأمر؛ أمسك السماعة مجددًا ثم طلب القصر الملكي، خرج صوته مجهدًا ومرهقًا رغمًا عنه حين خاطب أمين الملك وأخبره بخطورة الموقف، وضرورة البدء في ترتيبات سريعة لمحاولة تدارك الأمور، إلا أنه تسمر في وقفته وسالت قطرات من العرق البارد حين أتاه رد أمين الملك عبر السماعة بصوتٍ هادىء واثق:

- معالي الوزير! البلد هاديء، لم يحدث أي سفك للدماء بفضل حكمة مولانا، نشكرك على جهودك وولائك.

كاد المراغي أن يمارس هوايته المفضلة هذا اليوم في السب واللعن، لكنه تمالك أعصابه بمعجزة، وأجاب ببرود:

- أشكرك معالي الأمين.

صمت لوهلة ثم ضغط على أسنانه ليكظم انفجار الكلمات من فمه:

- أرجوك معالي الأمين! أبلغ مولانا أن مرتضى المراغي يودِّعه، ويتمنى له السلامة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كذَّب أذنيه في البداية حين أخبروه بما يجري، ثم لم يصدق عينيه حين حلقت الطائرات الحربية فوق قصر رأس التين، تقترب من القصر في سرعة خاطفة، ثم تعود لتشق طريقها إلى أعلى. دخل فاروق من الشرفة ثم ارتمى فوق مقعد وثير مُطعَّم بالأرابيسك، ينتهي مسنده بقرص من العاج على هيئة التاج الملكي، كان يبدو منكمشًا عَكِر المزاج حين نظر إلى إسماعيل شيرين الذي كان يرتعش أمامه، لم يسمعه فاروق حين كان يشرح الأعذار والحجج، الواحدة تلو الأخرى، كان ذهنه مشغولًا؛ يفكر في ناريمان وأولاده!.

وفي نفس اللحظة كانت كتيبة عسكرية تقترب من أسوار القصر، لم يكن قائدها يعرف مداخل قصر رأس التين، ولا زاره من قبل، لكنه فوجيء بأن بواباته مشرعة، لا حراسة ولا حاجز أو متاريس! دخل وجنوده بسياراتهم إلى القصر دون أي ممانعة!. وفجأة انطلقت نيران كثيفة من حرس القصر؛ فرد الجنود دون انتظار لأوامر، تفرقوا في الجوانب والأركان عندما شاهدوا الحرس الملكي ينصبون مدفعًا عند مدخل السلالم الرخامية المرتفعة، الكاشف لواجهة القصر، ثم انطلقت رصاصاتهم زخات في اتّجاه المدفع بعدما أمرهم قائدهم زاعقًا حادًا. سقط واحد من حرس الملك؛ فتراجع الباقون وهم يجرون المدفع للداخل، وتضرج جنديان من

الكتيبة المهاجمة في دمائهما؛ سحبهما رفاقهما وسط شرر الرصاص حتى علا صياح لم يعرف أحد مصدره:

- راية بيضاء! راية بيضاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هرول فاروق على سلالم القصر الداخلية، ترجرج جسده حتى وصل إلى مكان وقوف علي ماهر، لكنه التزم الصمت فور رؤيته لملامح وجهه. لم يكن أي منهما في حاجة للحديث؛ فتلك النظرات الكئيبة الكليلة التي تطل من عينَي علي ماهر كانت كافية للبوح بكل شيء، ووقفته المحنية الكسيرة ترجمت كلماته قبل أن ينطقها إلى كل لغات العالم الحية والميتة!. كان فاروق حين أبلغوه بحضور علي ماهر للقائه قد تمسك بأهداب الأمل، حبال بالية في أن الجيش لم يُرِد من حصار قصره سوى مجرد التهديد، لكن خلعه من العرش! فذلك ما لم يكن يتصور حدوثه أبدًا.

لم يجلسا، ظلا واقفَين في ذلك البهو الذي ضاق عليهما رغم اتساعه، أطرق علي ماهر برأسه وهو يتحسس إنذار الجيش المطوي في جيبه:

- مولانا! هذه لحظة عصيبة بالنسبة لي!

رد فاروق متصنعًا الهدوء:

- مفهوم.

كادت الدموع تفر من عينَي علي ماهر شفقةً وحُزنًا على فاروق؛ فهو من تلقاه كوليٍّ للعهد والآن يودعه كملك، لكنه تمالك نفسه:

- قدموا إنذارًا للتنازل عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرًا.

نظر فاروق بحركة لا إرادية لساعته، صمت لوهلة وقد ازدادت بشرته احمرارًا:

- إنذار؟!

بسرعة قال علي ماهر كأنه يتخلص من عبءٍ ثقيل فوق صدره:

- وتغادر البلاد عند السادسة مساءً!

وجَم فاروق، ازداد احتقان وجهه حين سأل:

- وإلا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتفض فاروق واقفًا عندما اقتربت الساعة من السادسة، وكأن لهبًا اشتعل في بذلته البحرية البيضاء، لا يطيق البقاء أكثر من ذلك! كان يشعر بنغزة في قلبه؛ فهذا القصر الذي سيغادره هو قصر جده، محمد علي باشا الكبير، هنا لفظ أنفاسه الأخيرة ومات. حدَّث نفسه: «لا شيء يبقى على حاله يا جدِّي! ها أنا يموت عرشي في ذات القصر الذي مُتَّ فيه!». أبدى تماسكًا ملكيًا حين شد قامته عند الردهة المفضِية إلى

السلالم النازلة للرصيف البحري، وتحول حزنه إلى غضب، وحسرته إلى احتقار، وخوفه إلى راحة حين تابع بعينيه المختبئتين وراء النظارة الغامقة زورق آلي يرسو عند الرصيف، ناريمان والأميرات تتزلن إليه الواحدة تلو الأخرى.

هبط سلالم الرصيف البحري بخطواتٍ واثقة، لاعنًا أمَّه نازلي؛ هي السبب في كل ما حدث له رغم أنه لم يرَها منذ سنوات، فضحته مجددًا وزوجت فتحية أخته من رياض غالي، الذي تخلى عن دينه من أجل رغباته الدنيئة، كأنها لم تكتفِ بما فعلته مع حسنين؛ بل أرادت أن تقذف حذاءها في وجهه، حقًّا لم يكن يصلح لها إلا الحبس والإذلال، كما فعل أبوه، غمغم بصوتٍ خفيض: «وحسنين أيضًا!».

انتصب رئيس الحرس الملكي في وقفة عسكرية صارمة، أنزل علم مصر الأخضر ثم طواه حتى صار كمثلثٍ قماشي، وبخطوات منتظمة تقدم في اتجاه ملكه، ناوله العلم المطوي؛ لَثَمه فاروق ثم حمله تحت ذراعه، ثم دوت موسيقى السلام الوطني ترافقها دقات كعوب حرس الشرف على رصيف الميناء.

نزل فاروق إلى زورقه الملكي «المحروسة»، ملوِّحًا للمودعين بكفه، ولمعت في ذهنه خاطرة: ربما لو كان حسنين حيًّا ما كان شيئًا من هذا ليحدث!، أشاح وجهه بعيدًا عن قصره، وشرد بصره في الأفق وأمواج البحر المتلاطمة، تراءت أمام عينيه ذكرى ذلك اليوم البعيد الذي كان عائدًا فيه من لندن ليتوَّج ملكًا على مصر!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منتصر أمين.

القاهرة في ٤ مارس ٢٠٢١

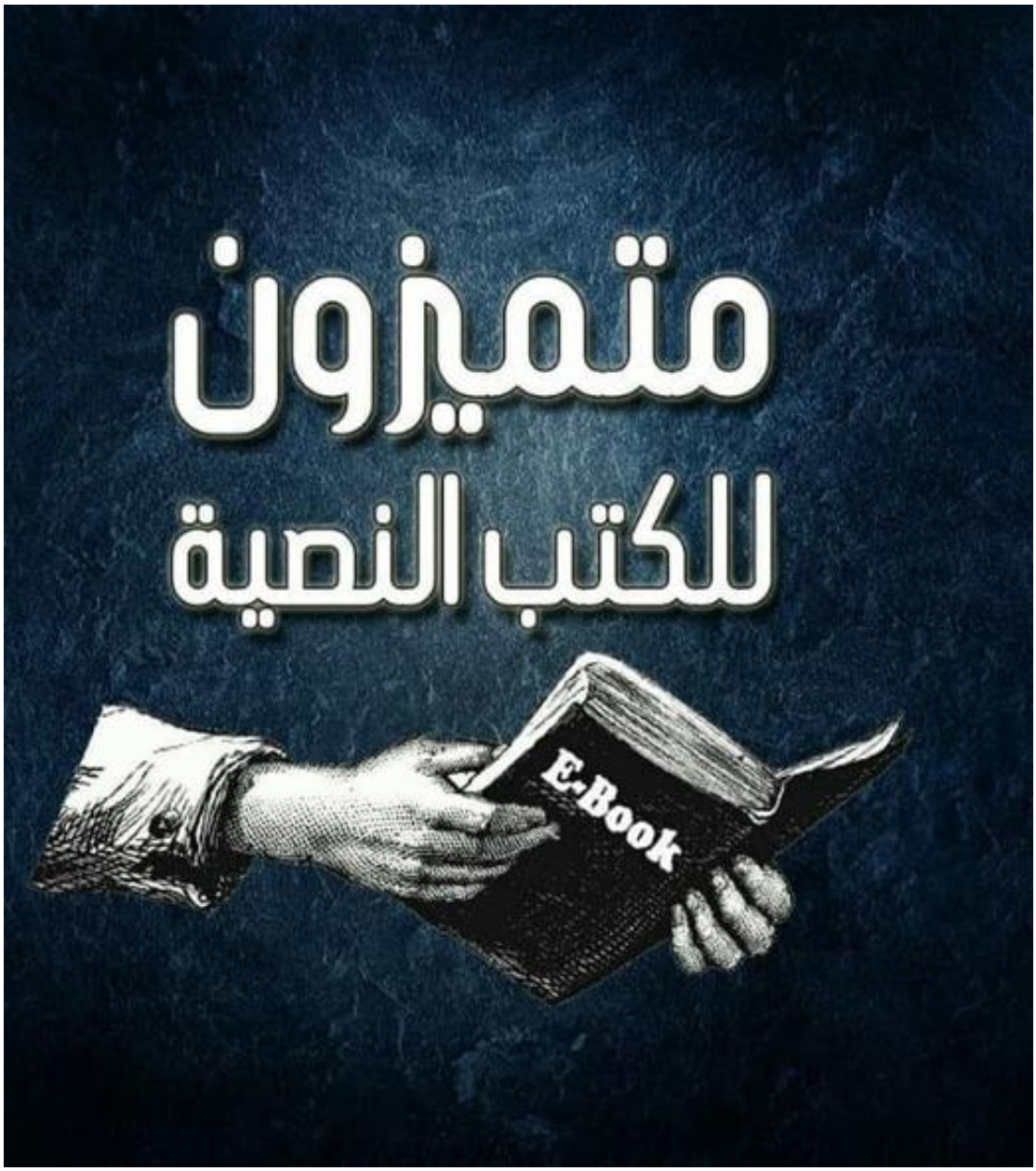
متميزون
للكتب النصية
E-Book

**Group Link – لينك الانضمام الى الجروب**

**Link – لينك القنـــــاة**